منتقى التفاسير

تفسير سورة {ق}

جمع وإعداد
محمد يس الحجاجي

Text On Photo

المنتقى في التفسير

[تفسير سورة { ق }]

هذه السورة هي أول المفصل على الصحيح وقيل من الحجرات والدليل على ذلك ما رواه أبو داود في سننه " باب تحزيب القرآن " ثم قال أوس : سألت أصحاب رسول الله صلى الله عليه و سلم كيف يحزبون القرآن ؟ فقالوا : ثلاث وخمس وسبع وتسع وإحدى عشرة وثلاث عشرة وحزب المفصل وحده (أخرجه أبو داود وابن ماجة) بيانه : (ثلاث) البقرة وآل عمران والنساء و (خمس) المائدة والأنعام والأعراف والأنفال وبراءة و (سبع) يونس وهود ويوسف والرعد وإبراهيم والحجر والنحل و (تسع) سبحان والكهف ومريم وطه والأنبياء والحج والمؤمنون والنور والفرقان و (إحدى عشرة) الشعراء والنمل والقصص والعنكبوت والروم ولقمان والم السجدة والأحزاب وسبأ وفاطر ويسن و (ثلاث عشرة) الصافات وص والزمر وغافر وحم السجدة وحم عسق والزخرف والدخان والجاثية والأحقاف والقتال والفتح والحجرات ثم بعد ذلك الحزب المفصل كما قاله الصحابة رضي الله عنهم فتعين أن أوله سورة ق (والمقصود ان الصحابة ما كانوا يقسمون التلاوة على هذه الاجزاء الثلاثين او اكثر او اقل من هذه التجزئة فكونهم يختمون بسبع أي يقسمون القران الى سبعة اجزاء( ) واما الاجزاء الثلاثين الان فجرى التقسيم بها بعد الصحابة)

وقال الإمام أحمد عن عبد الله بن عبد الله أن عمر بن الخطاب سأل أبا واقد الليثي ما كان رسول الله صلى الله عليه و سلم يقرأ في العيد قال : بقاف واقتربت (أخرجه مسلم وأصحاب السنن) .

وعن أم هشام بنت حارثة قالت : لقد كان تنورنا وتنور النبي صلى الله عليه و سلم واحدا سنتين أو سنة وبعض سنة وما أخذت { ق والقرآن المجيد } إلا على لسان رسول الله صلى الله عليه و سلم وكان يقرؤها كل يوم جمعة على المنبر

---

[1] –وقال الحافظ ابن حجر :أخرج ابن أبي داود عن عثمان وابن مسعود وتميم الداري: أنهم كانوا يختمون في سبع، بأسانيد صحيحة. وقال النووي في التبيان :وأما الذين ختموا في الأسبوع مرة فكثيرون، نقل عن عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ وعبد الله بن مسعود وزيد بن ثابت وأبي بن كعب ـ رضي الله عنهم ـ وعن جماعة من التابعين كعبد الرحمن بن يزيد وعلقمة وإبراهيم رحمهم الله .اهـ.

عن عبد الله بن عمرو قال جمعت القرآن فقرأته كله في ليلة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إني أخشى أن يطول عليك الزمان وأن تمل فاقرأه في شهر فقلت دعني أستمتع من قوتي وشبابي قال فاقرأه في عشرة قلت دعني أستمتع من قوتي وشبابي قال فاقرأه في سبع قلت دعني أستمتع من قوتي وشبابي فأبى . رواه ابن ماجة وصححه الالباني.

وعنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " لم يفقه من قرأ القرآن في أقل من ثلاث " . رواه الترمذي وأبو داود والدارمي

إذا خطب الناس (أخرجه مسلم وأبو داود وأحمد) (وظاهره انه يقرء السورة كاملة وقولها كل جمعة يحمل على الكثرة).

والقصد أن رسول الله صلى الله عليه و سلم كان يقرأ بهذه السورة في المجامع الكبار كالعيد والجمع لاشتمالها على ابتداء الخلق والبعث والنشور والمعاد والقيام والحساب والجنة والنار والثواب والعقاب والترغيب والترهيب والله أعلم (تفسير ابن كثير)

فقد روى مسلم عن قطبة بن مالك أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ في صلاة الصبح سورة {ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ} [قّ:١] وربما قال: {ق} ويعني في الركعة الأولى.

.....

{ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَاباً ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ}

{ ق } :ذهب اهل العلم في تفسير هذه الحروف المقطعة الى مذهبان مشهورا

الاول: قالوا اللَّه أَعْلَم بِمُرَادِهِ بِهِ

والثاني : انه حرف من حروف الهجاء المذكورة في أوائل السور والاقرب انها حروف تهجي لا معنى له في نفسها وانما يركب منها الكلام وقيل فيها اشارة الى ان هذا القران مؤلف من الحروف التي يتكلم بها العرب ومع ذلك هم لا يستطيعون الاتيان بمثله والله تعالى اعلم.

كما الحال في خلق الانسان من الطين الذي يرونه امامهم ومع ذلك لا يستطيع احد ان يخلق منه انسانا.

وهناك اقوال اخرى لا حاجة لذكرها لبعدها .

وقوله: { وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ } الواو للقسم فاحرف القسم ثلاثة هي الباء والواو والتاء وهناك اللام الموطئة للقسم .

فاقسم بالقران وهذا يدل على شرفه فان الله تعالى لا يقسم الا بعظيم.

قال ابن عباس :والقرآن المجيد ليس شيء أحسن منه ولا أفضل منه

أي الرفيع القدر. وقيل: الكريم؛ قاله الحسن.

فالقران وصفه الله تعالى بانه مجيد وكريم وحكيم وعزيز ومبارك فلا كتاب اعظم منه.

المجيد أصل المجد في الكلام الكثرة والسعة وهو مأخوذ من قولهم أمجدت الدابة إذا أكثرت علفها

"والقرآن المجيد" تعني أن القرآن ذو شرف ورفعة وقدر عظيم وكريم، وهو كثير المعاني والبركات، وجزيل العطاء

وَاخْتَلَفُوا فِي جَوَابِ الْقَسَمِ، فَقَالَ أَهْلُ الْكُوفَةِ: جَوَابُهُ: "بَلْ عَجِبُوا" ، وَقِيلَ: جَوَابُهُ قَوْلُهُ: "مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ" . وَقِيلَ: "قَدْ عَلِمْنَا

وَقِيلَ: جَوَابُهُ مَحْذُوفٌ مقدر قال ابن كثير الجواب هو مضمون الكلام بعد القسم وهو إثبات النبوة، وإثبات المعاد، وتقريره وتحقيقه وإن لم يكن القسم متلقى لفظًا، وهذا كثير في أقسام القرآن يعني نقدره (انك لرسول الله او ان الله إله واحد او لتبعثن)،

وقول ثالث ان لا وجود لجوب القسم وانما المقصود التنبية على عظمة المقسم به

{ بل عجبوا أن جاءهم منذر منهم فقال الكافرون هذا شيء عجيب }

بَلْ عَجِبُوا}أي الكافرون واضمرهم لدلالة السياق عليهم { أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ } مُخَوِّفٌ، { مِنْهُمْ } يَعْرِفُونَ نَسَبَهُ وَصِدْقَهُ وَأَمَانَتَهُ، { فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ }ثم عاد واظهرهم بهذا الوصف للدلالة على أنهم في قولهم هذا مُقدِمون على كفر عظيم .

والتعجب من ارسال البشر سنة كل الامم السابقة وليس هذا بعجيب فإن الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس قال تعالى {وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَراً رَسُولاً} [٩٤/١٧].

ورد الله عليهم ذلك في آيات كثيرة كقوله: {وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالاً} الآية[٧/٢١]، وقوله: {وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ} الآية [٢٠/٢٥]، وقوله: {وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكاً لَجَعَلْنَاهُ رَجُلاً} الآية[٩/٦]، إلى غير ذلك من الآيات.

ثم قال عز و جل مخبرا عنهم في تعجبهم أيضا من المعاد واستبعادهم لوقوعه .

{ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا } نُبْعَثُ، تَرَكَ ذِكْرَ الْبَعْثِ لِدَلَالَةِ الْكَلَامِ عَلَيْهِ، { ذَلِكَ رَجْعٌ } أَيْ رَدٌّ إِلَى الْحَيَاةِ { بَعِيدٌ } وَغَيْرُ كَائِنٍ، أَيْ: يَبْعُدُ أَنْ نُبْعَثَ بَعْدَ الْمَوْتِ.والمعنى أنهم يعتقدون استحالته وعدم إمكانه. فلما رأوا البشر عاجزين عن ذلك ظن الخالق كذلك.

لانهم لم يروا احدا عاد بعد موته وهم لا يصدقون باخبار الرسل فلم يبق لديهم وسيلة لاثبات الرجوع.

وقد ذكر تعالى أن من أنكر البعث فقد نسي الإيجاد الأول، كما في قوله: {وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ} الآية [٧٨/٣٦]. وقوله: {وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ أَإِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيّاً، أَوَلا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئاً} [٦٨،٦٧/١٩]

فالإيجاد الأول أعظم برهان على الإيجاد الثاني، وقد أوضح ذلك في آيات كثيرة كقوله: {وَهُوَ الَّذِي يَبْدأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ} الآية [٢٧/٣٠]، وقوله: {كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ} [١٠٤/٢١]، وكقوله: {فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّة} [٥١/١٧]، وقوله: {قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ} [٧٩/٣٦]، وقوله: {أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ} الآية [١٥/٥٠]، وكقوله: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ} [٥/٢٢]، وكقوله: {وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَى} [٦٢/٥٦].

والذي يدفع الانسان الى انكار البعث الرغبة في الافساد والعبث دون ان تكون هناك تبعةٌ لذلك كما قال تعالى: {بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ (٥) يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ (٦)} ومعنى الآية أن الإنسان إنما يريد شهواته ومعاصيه ليمضي فيها أبدا قدما راكب رأسه ومطيع أمله ومسوفا بتوبته، قاله مجاهد والحسن وعكرمة وابن جبير والضحاك والسدي، وقال السدي: المعنى ليظلم على قدر طاقته،

فمما يتكرر في القران الاستدلال به على امكانية البعث هو ابتداء الخلق .

والدليل الثاني على امكانية البعث عموم علم الله تعالى لجميع الاشياء وقدرته المطلقة على الاعادة كما قال الله تعالى رادا عليهم { قد علمنا ما تنقص الأرض منهم } أي ما تأكل من أجسادهم في البلى نعلم ذلك ولا يخفى علينا أين تفرقت الأبدان وأين ذهبت وإلى أين صارت.

فمن امن باحاطة علم الله بكل شيء وقدرته على كل شيء وان حكمته تأبى ان يخلق هذا الخلق عبثا ثم يتركهم بلا حساب لم يستبعد وقوع البعث الذي هو دليل ايضا على قدرته تعالى .

قال ابن القيم في الفوائد" أن الله سبحانه يعيد هذا الجسد بعينه الذي أطاع وعصى فينعمه ويعذبه كما ينعم الروح التي آمنت بعينها ويعذب التي كفرت بعينها لا انه سبحانه يخلق روحا أخرى غير هذه فينعمها ويعذبها كما قاله من لم يعرف المعاد الذي أخبرت به الرسل

.. وهذا في الحقيقة انكار للمعاد وموافقة لقول من أنكره من المكذبين فانهم لم ينكروا قدرة الله علي خلق أجسام أخر غير هذه الأجسام يعذبها وينعمها كيف وهم يشهدون النوع الانساني يخلق شيئا بعد شيء فكل وقت يخلق الله سبحانه أجساما وأرواحا غير الأجسام التي فنيت فكيف يتعجبون من شيء يشاهدونه عيانا وانما تعجبوا من عودهم باعيانهم بعد أن مزقهم البلي وصاروا عظاما ورفاتا فتعجبوا ان يكونوا هم باعيانهم مبعوثين للجزاء ولهذا قالوا أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون وقالوا ذلك رجع بعيد ولو كان الجزاء انما هو لاجسام غير هذه لم يكن ذلك بعثا ولا رجعا بل يكون ابتداء ولم يكن لقوله قد علمنا ما تنقص الأرض منهم كبير معني فأنه سبحانه جعل هذا جوابا لسؤال مقدر وهو انه يميز تلك الأجزاء التي اختلطت بالارض واستحالت الي العناصر بحيث لا تتميز فأخبر سبحانه انه قد علم ما تنقصه الارض من لحومهم وعظامهم وأشعارهم وانه كما هو عالم بتلك الأجزاء فهو قادر على تحصيلها وجمعها بعد تفرقها وتأليفها خلقا جديدا وهو سبحانه يقرر المعاد بذكر كمال علمه وكمال قدرته وكمال حكمته"

{ وعندنا كتاب حفيظ } أي حافظ لذلك فالعلم شامل والكتاب أيضا فيه كل الأشياء مضبوطة قال ابن عباس { قد علمنا ما تنقص الأرض منهم } أي ما تأكل من لحومهم وأبشارهم وعظامهم وأشعارهم.فهذا الكتاب حافظ لكل شيء عنهم. كما قال تعالى عن فرعون وموسى {قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى قَالَ عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لا يَضِلُّ رَبِّي وَلا

يَنْسَى } أي فليس معنى انها مثبتة في كتاب ان الله ينسى بل لا يضل ولا ينسى .كقوله تعالى: {وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ، وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌ}

وقال بعضهم قد علمنا ما تنقص الارض من الاحياء بان يموتوا والاول اظهر وادل على القدرة.

ثم بين تبارك وتعالى سبب كفرهم وعنادهم واستبعادهم ما ليس ببعيد فقال : { بل كذبوا بالحق لما جاءهم فهم في أمر مريج } أي وهذا حال كل من خرج عن الحق مهما قال بعد ذلك فهو باطل و " المريج " المختلف المضطرب المنكر كقوله تعالى : { إنكم لفي قول مختلف يؤفك عنه من أفك }

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ كَانَ رَجُلٌ يُسْرِفُ عَلَى نَفْسِهِ فَلَمَّا حَضَرَهُ الْمَوْتُ قَالَ لِبَنِيهِ إِذَا أَنَا مُتُّ فَأَحْرِقُونِي ثُمَّ اطْحَنُونِي ثُمَّ ذَرُّونِي فِي الرِّيحِ فَوَاللَّهِ لَئِنْ قَدَرَ عَلَيَّ رَبِّي لَيُعَذِّبَنِّي عَذَابًا مَا عَذَّبَهُ أَحَدًا فَلَمَّا مَاتَ فُعِلَ بِهِ ذَلِكَ فَأَمَرَ اللَّهُ الْأَرْضَ فَقَالَ اجْمَعِي مَا فِيكِ مِنْهُ فَفَعَلَتْ فَإِذَا هُوَ قَائِمٌ فَقَالَ مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا صَنَعْتَ قَالَ يَا رَبِّ خَشْيَتُكَ فَغَفَرَ لَهُ وَقَالَ غَيْرُهُ مَخَافَتُكَ يَا رَبِّ "رواه البخاري ومسلم .قيل ان الله عذره بجهله وقيل ان خوف الله قد غلب عليه حتى غطى عقله والله تعالى اعلم والمهم انه جمع وصفين احدهما سيء وهو الشك في قدرة الله والاخر عظيم وهو خوفه من الله فغفر الله له به.وانه يعاد جسمه كما كان لا ينقص منه شيء

{ أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ }

وهذا الدليل الثاني على البعث وهو خلق السموات والارض الذي هو اكبر من خلق الناس فمن قدر على الاكبر قدر على الادنى بلا شك. وأوضح الله تعالى هذا البرهان في آيات كثيرة كقوله تعالى: {لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ} [٤٠/٥٧]، وقوله : {أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَى وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ} [٣٦/٨١]، وقوله: {أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى بَلَى} [٤٦/٣٣]، وقوله: {أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ} [١٧/٩٩]، وقوله : {أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقاً أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا} الآية [٧٩/٢٧] إلى غير ذلك من الآيات.

فيقول تعالى منبها للعباد على قدرته العظيمة التي أظهر بها ما هو أعظم مما تعجبوا مستبعدين لوقوعه: { أَفَلَمْ يَنْظُرُوا} نظر اعتبار فينظروا بعيونهم معتبرين بعقولهم والنظر في الايات الكونية او الشرعية من اعظم اسباب زيادة الايمان .{ إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا} بلا عمد ترونها { وَزَيَّنَّاهَا } بالمصابيح، { وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ } . قال مجاهد: يعني من شقوق. كقوله تعالى: { الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ . ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ } [الملك: ٣ ، ٤] أي: كليل، أي: عن أن يرى عيبًا أو نقصًا.

فالاية لفتة الى النظر الى السماء والتفكر فيها والاستدلال بها على خالقها وقدرته وعلمه وحكمته ووحدانيته فتلك عبادة غفل عنا الناس

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ بِتُّ عِنْدَ خَالَتِي مَيْمُونَةَ فَتَحَدَّثَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعَ أَهْلِهِ سَاعَةً ثُمَّ رَقَدَ فَلَمَّا كَانَ ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرُ قَعَدَ فَنَظَرَ إِلَى السَّمَاءِ فَقَالَ {إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ} ثُمَّ قَامَ فَتَوَضَّأَ وَاسْتَنَّ فَصَلَّى إِحْدَى عَشْرَةَ رَكْعَةً ثُمَّ أَذَّنَ بِلَالٌ فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ خَرَجَ فَصَلَّى الصُّبْحَ "متفق عليه .

وقوله فوقهم يريد ن هذه الاية لا تحتاج لكبير بحث فهي ميسرة لكل احد .

وفيما ذكر اية على امكان البعث فان الايجاد من لا شيء اعظم من الايجاد من شيء.

وقوله: { وَالأَرْضَ مَدَدْنَاهَا } أي: وسعناها وفرشناها ، ونصيت الارض بالعطف على موضع السماء والتقدير افلم ينظروا السماء والارض فقالوا الاصل في الافعال انها تتعدى بنفسها فذا عديت بحرف جر جاز العطف على اللفظ فيكون مجرورا وجاز العطف على المعنى فيكون منصوبا .

{ وَأَلْقَيْنا فِيها رَواسِيَ وَأَنْبَتْنا فِيها مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ [ق: ٧] . وهي: الجبال؛ لئلا تميد بأهلها وتضطرب.

{ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ} يعني صنف { بهيج } أي: حسن نضر.

{ تَبْصِرَةً وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ } أي: ومشاهدة خلق السموات [والأرض] (١) وما جعل [الله فيهما من الآيات العظيمة تبصرة للجاهل وتذكرة للناسي ودلالة وذكرى لكل عبد منيب، أي: خاضع خائف وجل رَجَّاع إلى الله عز وجل.

وقرأ الجمهور : {تَبْصِرَةً وَذِكْرَى } بالنصب ، وهما منصوبان بفعل مضمر من لفظهما ، أي بصر وذكر. وقيل : مفعول من أجله. وقرأ زيد بن علي : تبصرة بالرفع ، وذكر معطوف عليه ، أي ذلك الخلق على ذلك الوصف تبصرة ، والمعنى : يتبصر بذلك ويتذكر ، {لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ} : أي راجع إلى ربه مفكر في بدائع صنعه.

قال تعالى {وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا} كثير المنفعة { فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ} الحصيد : كل ما يحصد مما له حب ، كالبر والشعير و هو من باب اضافة الجزء الى الكل اذا اريد بالحصيد السنبلة .

والحب مبنى الاقوات وهو قوام عيش الناس

. والذي يخرج النبات من البذرة الصغيرة قادر على اخراجكم من بعد موتكم .

{ وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ} : أي طوالاً في العلو ، وهو منصوب على الحال ، لان المقام اظهار قدرة الله اختار الطوال لانها بادية للعيان واما في مقام الامتنان قال {وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ }.

{وَالنَّخْلَ} اسم جنس ، فيجوز أن يذكر ، نحو قوله : {نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ} ، وأن يؤنث نحو قوله تعالى : {نَخْلٍ خَاوِيَةٍ} ، وأن يجمع باعتبار إفراده ، ومنه باسقات .

ثم قال {لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ رِزْقًا لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ (١١)} وهذا الدليل الاخر على البعث .

{ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ } الطلع اول ما يخرج من الثمر ونضيد منضود. متراكب يعني اذا كان في اكمامه .لا دخل لك ايها الانسان في تركيبها ونموها ونضجها سوى ما يكون من السقي والحرث ونحوها اما الانبات فهو اية تدل على القدرة الالهية

{ رِزْقًا لِلْعِبَادِ } مفعول لاجله أي: للخلق، { وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا } ميتا يستوي في المذكر والمؤنث والميْت بالسكون الذي مات والميِّت بالتشديد الذي سيموت { انك ميِّت وانهم ميتون}

وبلدة وهي: الأرض التي كانت هامدة، فلما نزل عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج، من أزاهير وغير ذلك، مما يحار الطرف في حسنها، وذلك بعد ما كانت لا نبات بها، فأصبحت تهتز خضراء، فهذا مثال للبعث بعد الموت والهلاك، كذلك يحيي الله الموتى. فضرب مثل المعقول المعنوي بالمحسوس وهذا المشاهد من عظيم قدرته بالحس أعظم مما أنكره الجاحدون للبعث كقوله تعالى: { وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الأَرْضَ خَاشِعَةً (٥) فَإِذَا أَنزلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ } [فصلت: ٣٩].وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا بَيْنَ النَّفْخَتَيْنِ أَرْبَعُونَ قَالَ أَرْبَعُونَ يَوْمًا قَالَ أَبَيْتُ قَالَ أَرْبَعُونَ شَهْرًا قَالَ أَبَيْتُ قَالَ أَرْبَعُونَ سَنَةً قَالَ أَبَيْتُ قَالَ ثُمَّ يُنْزِلُ اللَّهُ مِنْ السَّمَاءِ مَاءً فَيَنْبُتُونَ كَمَا يَنْبُتُ الْبَقْلُ لَيْسَ مِنْ الْإِنْسَانِ شَيْءٌ إِلَّا يَبْلَى إِلَّا عَظْمًا وَاحِدًا وَهُوَ عَجْبُ الذَّنَبِ وَمِنْهُ يُرَكَّبُ الْخَلْقُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ"رواه البخاري ومسلم.

قال تعالى {كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ وَثَمُودُ (١٢) وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطٍ (١٣) وَأَصْحَابُ الأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ (١٤) أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ (١٥) } قوله {كذبت} اتى بتاء التأنيث لانه اراد القبيلة والقبيلة مؤنث لفظي.

يقول تعالى متهددا لكفار قريش بما أحله بأشباههم ونظرائهم وأمثالهم من المكذبين قبلهم، من النقمات والعذاب الأليم في الدنيا، كقوم نوح وما عذبهم الله به من الغرق العام لجميع أهل الأرض، وأصحاب الرس (من الأقوال المذكورة أنهم قومٌ من ثمود ، أو أنهم من نسل يهودا وكانوا يعبدون شجرةً. وَعَن ابْن عَبَّاس فِي بعض الرِّوَايَات: أَن أَصْحَاب الرس هم قوم حبيب النجار، ألقوه فِي الْبِئْر حَتَّى هلك، وَهُوَ بأنطاكية."

ولم يثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم فيهم شيء فالله اعلم بهم وما ابهم في كتاب الله لا حاجة للبحث عنه كثيرا اذ لو كان في ذكره فائدة لبينه الله تعالى او بينه رسوله صلى الله عليه وسلم .

{ وَثَمُودُ . وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ( ) لُوطٍ } ، وهم أمته الذين بُعث إليهم من أهل سدوم ومعاملتها من الغور، وكيف خسف الله بهم الأرض، وأحال أرضهم بحيرة منتنة خبيثة؛ بكفرهم وطغيانهم ومخالفتهم الحق.

{ وَأَصْحَابُ الأيْكَةِ } وهم قوم شعيب عليه السلام، والايكة الشجر الملتف الكثير وكانوا يعبدونها { وَقَوْمُ تُبَّعٍ } وهو اليماني.وقد ذكروا ايضا في سورة الدخان في قوله تعالى { اهم خير ام قوم تبع}

وتبع بضم التاء وتشديد الموحدة لقب لمن يملك جميع بلاد اليمن حميرا وسبأ وحضرموت ، فلا يطلق على الملك لقب تبع إلا إذا ملك هذه المواطن الثلاثة

. وروي عن ابي هريرة عن النبيى صلى الله عليه وسلم)ما أدري أتبع أنبيا كان أم لا و ما أدري عزير أنبيا كان أم لا (راوه السيوطي في الجامع الصغير وضعفه الالباني.

وتعليق الإهلاك بقوم تبع دونه يقتضي أن تبعا نجا من هذا الإهلاك وأن الإهلاك سلط على قومه ، قالت عائشة :ألا ترى أن الله ذم قومه ولم يذمه .

والمروي عن النبيء -صلى الله عليه وسلم -في مسند أحمد وغيره أنه قال :لا تسبوا تبعا فإنه كان قد أسلم وفي رواية :كان مؤمنا ،)وصححه الالباني في الصحيحة (وفسره بعض العلماء بأنه كان على دين إبراهيم عليه السلام وأنه

---

٢ –" والمعنى المقصود بـ "إخوان" ليس النسب، بل يشمل المصاهرة، والمساكنة، والملازمة، والمخالطة. فعلى الرغم من أن لوطاً لم يكن منهم بالولادة، إلا أنه عاش بينهم وصاهرهم ولذلك يُطلق عليه "أخوهم" لغوياً في سياق السكنى والمعاشرة.

كلمة (أخ) في اللغة تطلق أحياناً ويراد بها الأخوة في النسب، وأحياناً تطلق ويراد بها الأخوة في الأرض، وأحياناً تطلق ويراد بها الأخوة في الملة، وأحياناً تطلق ويراد بها الشبه، وبكل ورد القرآن، قال الله جل وعلا: {وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا} [الأعراف:٨٥] والمقصود: أخاهم أرضاً.

وقال جل وعلا: {وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا} [الأعراف:٧٣] والمقصود: أخاهم نسباً.

وقال الله جل وعلا: {وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا} [القصص:٣٤] والمقصود: أخي نسباً.

وقال الله جل وعلا: {يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ} [مريم:٢٨] والمقصود: أخته شبهاً في التقى والعبادة.

فقول الله جل وعلا: (إخوان لوط) محمول على أنه كان أخاً لهم في نفس الأرض التي كانوا يسكنونها؛ لأن لوط إنما بعث إلى قوم ليسوا من عشيرته وهذا وجه.

والوجه الآخر: أن كلمة (أخ) مثل كلمة (صاحب)، فلا يراد بالإضافة أن يقصد بها التشريك، وإنما المقصود التعريف، ومثاله في القرآن قول الله جل وعلا عن نبينا صلى الله عليه وسلم وهو يخاطب قريشاً: {وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ} [التكوير:٢٢] فسمى الله نبيه صاحباً لهم، وليس المقصود الصحبة المعروفة، وإنما المقصود أنه كلمهم وله علاقة معرفية بهم.

والاخوة تقال ايضا لمن كانوا من قبيلة واحدة او بلد واحد او دين واحد او صفة او صفات واحده "ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين " والنسبة تكون لادنى ملابسة فهو اخوهم على اعتبار انه بعث فيهم.

اهتدى إلى ذلك بصحبة حبرين من أحبار اليهود لقيهما بيثرب حين غزاها وذلك يقتضي نجاته من الإهلاك .ولعل الله أهلك قومه بعد موته أو في مغيبه .

{ كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ } أي: كل من هذه الأمم وهؤلاء القرون كذب رسول ، ومن كذب رسولا فكأنما كذب جميع الرسل، كقوله: { كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ } [الشعراء: ١٠٥]، وإنما جاءهم رسول واحد، فهم في نفس الأمر لو جاءهم جميع الرسل كذبوهم، { فَحَقَّ وَعِيدِ } أي: فحق عليهم ما أوعدهم الله، على التكذيب من العذاب والنكال فليحذر المخاطبون أن يصيبهم ما أصابهم فإنهم قد كذبوا رسولهم كما كذب أولئك.

فالوعيد لا يخلف في حق الكفار واما اهل الايمان فقد يتخلف الوعيد بسبب كرم الله وعفوه واما وعده لهم فلا يتخلف.

{كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ} الفاء هنا من حروف العلة كقوله: سها فسجد. أي لعلة سهوه وسرق فقطعت يده أي لعلة سرقته، ومنه قوله تعالى: {وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا} [المائدة:٣٨]، فتكذيبهم الرسل علة صحيحة لكون الوعيد بالعذاب حق ووجب عليهم، فدعوى جواز تخلفه باطلة بلا شك، وما دلت عليه هذه الآية الكريمة جاء موضحا في آيات أخر، كقوله تعالى في هذه السورة الكريمة: {قَالَ لا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ، مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ} [قّ:٢٨-٢٩]، والتحقيق: أن المراد بالقول الذي لا يبدل لديه هو الوعيد الذي قدم به إليهم. وقوله تعالى في سورة ص: {إِنْ كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ} [صّ:١٤]، وبهذا تعلم أن الوعيد الذي لا يمتنع إخلافه هو وعيد عصاة المسلمين بتعذيبهم على كبائر الذنوب، لأن الله تعالى أوضح ذلك في قوله: {إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ} [النساء:٤٨] وهذا في الحقيقة تجاوز من الله عن ذنوب عباده المؤمنين العاصين .

وقوله: { أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الأَوَّلِ } أي: أفأعجزنا ابتداء الخلق حتى هم في شك من الإعادة، { بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ } والمعنى: أن ابتداء الخلق لم يعجزنا والإعادة أسهل منه، كما قال تعالى: { وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ } [الروم: ٢٧]قيل اهون عليه ليس على بابه وانما المراد مطلق الاتصاف بمعنى هين عليه لانه يستوي في حق الله هذا وهذا لان الله على كل شيء قدير وقيل هذا روعي فيه حال المخاطبين يعني اهون عليه بالنسبة لنظركم،قال تعالى:{ ما خَلْقُكُمْ وَلا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ واحِدَةٍ } [لقمان: ٢٨] أي كخلق نفس واحدة وبعثها وقال الله تعالى: { وَضَرَبَ لَنَا مَثَلا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ } [يس: ٧٨-٧٩]، وقد تقدم في الصحيح: "يقول الله تعالى: يؤذيني ابن آدم، يقول: لن يعيدني كما بدأني، وليس أول الخلق بأهون علي من إعادته" رواه البخاري .

فذكر ربنا جل في علاه هنا اربعة ادلة للبعث الاول علمه المحيط بكل شيء والثاني خلقه السموات والارض والثالث انزال المطر وانبات النبات والرابع الاستدلال بالخلق الاول على امكان الاعادة بعد البعث.

وكثيرا ما يقرن الله تعالى الايمان به بالايمان باليوم الاخر لعظيم اثره فالانسان اذا ايقن انه مبعوث ايقن انه مسؤول فاعد لذلك اليوم عدته .

قوله تعالى { وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ}

{ولقد} اللام هي الموطئة للقسم و "قد" حرف دال على التحقيق والتأكيد قبل الفعل الماضي .

وهو قبل المضارع للتقليل الا في حق الله تعالى.

{خَلَقْنَا الْإِنسَانَ} والمراد به الجنس، جنس الإنسان من لدن آدم إلى قيام الساعة،

{ونعلم} الواو هذه واو الحال، ونعلم: خبر لمبتدأ مقدر تقديره نحن، لماذا نحتاج إلى تقدير نحن؟ لأن جملة المضارع إذا وقعت حالاً لا بد أن تخلو من الواو، لكن إذا اقترنت بالواو لا بد من التقدير لتكون الجملة اسمية.( )

---

[٣] – يجب أن تخلو جملة المضارع المثبت من الواو عندما تقع حالاً .مثال: "رأيتُ الشمسَ تسطعُ " وذا اقترنت الواو بجملة المضارع المثبت، فيجب تقدير مبتدأ لكي لا تخالف القاعدة .مثال: "دخلتُ على زيدٍ وهو يصلي ."

قال الشيخ عبدالله السعد " على الرغم من أن جمهور النحويين ذهبوا إلى أن المضارع المثبت قد استغنى عن الربط بالواو البتة وخلا منها "وجوبًا لشدة شبهه باسم الفاعل(يعني يقولون فكما لا يصح أن تقول: جاء زيد وضاحكًا، لا يصح أن تقول: جاء زيد ويَضحك.) ، فقد ورد غير قليل ارتباطه بالواو؛ كقوله تعالى :﴿ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ ﴾]آل عمران: ٤٦[، وقوله تعالى :﴿ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ ﴾]المائدة: ٨٤[، وقوله تعالى :﴿ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا ﴾]الأعراف: ٤٥ [، وقوله تعالى :﴿ وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ ﴾]الأحزاب: ١٣.[

لذلك "أجاز بعضهم دخول الواو عليه]"، وعدَّ المالقي تأويل النحويين، وهو جعل المضارع خبرًا لمبتدأ محذوف "تكلفًا لا ضرورة تدعو إليه."

وقد أعرب البيضاوي (ت٧٩١هـ) الواو في قوله تعالى) :إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ (واو الحال ومن المتأخرين من جعل هذا الشاهد القرآني قاعدة نحوية، فذكر أن المضارع المثبت يمتنع ربطه بالواو، ولكن "خرجت الجملة المصدرة بمعموله فتربط بالواو "مستشهدًا بالآية المذكورة، وإعراب البيضاوي لها.

وصرح بعض النحويين المحدثين بجواز ربط المضارع المثبت بالواو، وساواه بعدم ربطه، دون تقدير مبتدأ قبله."

وقال الشيخ عبد الكريم الخضير في التعليق على تفسير الجلالين " لماذا نحتاج التقدير؟ هل نخضع القرآن لقواعد العربية أو نخضع قواعد العربية للقرآن؟ القرآن هو أفصح الكلام، هم قعدوا القاعدة فاحتاجوا إلى التقدير، ..

ومن المعلوم المقطوع به المجزوم به أن القرآن يستشهد به في قواعد العربية بخلاف السنة التي وقع فيها الخلاف الكبير هل يستشهد بها لتصحيح القواعد أو لا؟ القرآن محفوظ بحروفه من الزيادة والنقصان، أما بالنسبة للحديث فجمهور أهل العلم يجوزون الرواية بالمعنى، وإذا جازت الرواية بالمعنى للصحابي جازت للتابعي، جازت لمن بعده، جازت للمتأخر من الرواة من شيوخ الأئمة، وشيوخ الأئمة معروف أنهم جاءوا بعد عصر انقطاع الاحتجاج بكلام العرب على القواعد؛ لأنهم اختلطوا بغيرهم فلا يحتج بهم، وإذا كان شيخ

"ما توسوس " الـ "ما " اما مصدرية يعني ونعلم وسوستهم او موصولة أي ونعلم الذي توسوس به نفسه. والوسوسة: هي تكرار الحديث في النفس وترديده فيه .

فقد خلق الله تعالى الانسان ويعلم احواله كلها كما قال تعالى {الا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير}

يخبر تعالى عن قدرته على الإنسان بأن علمه مُحِيطٌ بِجَمِيعِ أُمُورِهِ، حَتَّى إِنَّهُ تَعَالَى يَعْلَمُ مَا توسوس به نفسه مِنَ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ واصل الوسوسة هي الصوت الخفي والمراد هنا حديث النفس ، وَقَدْ ثَبَتَ فِي الصَّحِيحِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ تعالى تَجَاوَزَ لِأُمَّتِي مَا حَدَّثَتْ بِهِ أَنْفُسَهَا مَا لَمْ تَقُلْ أَوْ تعمل».( ) [٤]

البخاري مثلاً يجوز له أن يروي الحديث بالمعنى، وهو ممن لا يحتج بقوله في العربية، إذن الحديث لا يحتج به في العربية، وهذا قول كثير من أهل العلم، قول معتمد عندهم، يعني قول أئمة، وله وجهة، ومنهم من يقول: أبداً الحديث يحتج به، وإذا لم يحتج بالحديث هو أفضل من الاحتجاج بكلام العرب؛ لأنه كلام النبي –عليه الصلاة والسلام– وهو أفصح العرب، لكن ليس الإشكال أو الدخل أتانا من كونه كلام النبي –عليه الصلاة والسلام–، إنما الدخل جاءنا من تجويز العلماء الرواية بالمعنى، فلا يمنع أن يكون الراوي المتأخر أبدل كلمة بكلمة، أو زاد حرف أو نقص حرف مما لا يتغير به المعنى مما يجوزه أهل العلم، ولذلك لما جاء في حديث جابر: ((هل تزوجت بكراً أم ثيباً؟)) حاس الشراح وداسوا من أجل إيش؟ لأن (أم) لا تأتي بعد (هل)، (أم) لا تأتي بعد (هل) فقالوا: هذا من تصرف الرواة، وإلا فالأصل أن يقول: (أو) وهناك قول أيضاً نصره كثير من النحويين أن الحديث يحتج به؛ لأن شيوخ الأئمة جلهم على رأس المائتين، جلهم على رأس المائتين إلى مائتين وعشرين، وهذا محل يعني محل حفظ للغة، وتلقي للغة من العرب في البوادي والقرى، يعني ما تغيرت لهجات الناس تغيراً شديداً

... لكن ما المانع أن تبنى القواعد على كتاب الله –جل وعلا–، ويكون هذا جائز بل أولى من الاستشهاد بكلام العرب؛ لأنه كلام الله –جل وعلا–."

[٤] – فقد بين النبي –صلى الله عليه وسلم –أن الله تعالى عفا عن الوسوسة وحديث النفس ما لم يتبعه قول أو عمل، قَالَ قَتَادَةُ» :إِذَا طَلَّقَ فِي نَفْسِهِ فَلَيْسَ بِشَيْءٍ) «صحيح البخاري.

وعَنْ عَبْدِ اللهِ ,قَالَ :جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللهِ –صلى الله عليه وسلم , –فَقَالَ :إِنِّي أُحَدِّثُ نَفْسِي بِالشَّيْءِ ;لَأَنْ أَخِرَّ مِنَ السَّمَاءِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَتَكَلَّمَ بِهِ فَقَالَ " :ذَاكَ مَحْضُ الْإِيمَانِ أَوْ قَالَ :صَرِيحُ الْإِيمَانِ) "رواه مسلم.

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ,أَنَّ أَصْحَابَ النَّبِيِّ – ,صلى الله عليه وسلم –، قَالُوا :يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ أَحَدَنَا يُحَدِّثُ نَفْسَهُ بِالشَّيْءِ ,لَأَنْ يَكُونَ حُمَمَةً أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ أَنْ يَتَكَلَّمَ بِهِ ,فَقَالَ " :الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَقْدِرْ مِنْكُمْ إِلَّا عَلَى الْوَسْوَسَةِ) "رواه ابو داود وصححه الالباني في ظلال الجنة(

وقد قالوا

فحديث النفس وما دونه معفو عنه بمفهوم الاولى او مفهوم الموافقة وهو ان يكون المحذوف عير المذكور اولى بالحكم من المنطوق به .

والهم يكتب في الخير ولا يكتب في الشر عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ,عَنِ النَّبِيِّ –صلى الله عليه وسلم , –قَالَ " :قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ إِذَا هَمَّ عَبْدِي بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا فَاكْتُبُوهَا حَسَنَةً، فَإِنْ عَمِلَهَا فَاكْتُبُوهَا عَشْرًا ,وَإِذَا هَمَّ عَبْدِي بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا فَلَا تَكْتُبُوهَا، فَإِنْ عَمِلَهَا

وحديث الانسان اما ان يكون جهرا واما ان يكون سرا بينه وبين غيره واما ان يكون اخفى من السر وهو ما يكون في صدر الانسان من خطرات وغيرها والله يعلم ذلك كله كما قال تعالى وَإِنْ تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى (طه ٧) وقوله عزَّ وجلَّ: {وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ} قال ابن عباس، قوله(وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ) عرق العنق. وعن مجاهد(حَبْلِ الْوَرِيدِ) قال: الذي يكون في الحلق.

والايات تتحدث عن علم الله تعالى كما قال تعالى {ونعلم ما توسوس } وفسر هذا القرب بما بعده { اذ يتلقى المتلقيان ....}. ( )

٥

فَاكْتُبُوهَا بِمِثْلِهَا، وَإِنْ هُوَ تَرَكَهَا فَاكْتُبُوهَا حَسَنَةً) "صحيح مسلم. فهو مأجور لانه صد نفسه عن المعصية فهو لم يسع في اسباب المعصية .

وقال بعض اهل العلم انه اذا كان بمكة فيكتب الهم لشرف المكان لقوله تعالى {وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ} [الحج: ٢٥].

فالذي يحاسب عليه العبد هو العزم على المعصية كما جاء عن أبي بكرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " إذا التقى المسلمان حمل أحدهما على أخيه السلاح فهما في جرف جهنم فإذا قتل أحدهما صاحبه دخلاها جميعا " . وفي رواية عنه : قال : " إذا التقى المسلمان بسيفهما فالقاتل والمقتول في النار " قلت : هذا القاتل فما بال المقتول ؟ قال : " إنه كان حريصا على قتل صاحبه " متفق عليه.

فهذا سعى في ما نوى وكاد يفعل لولا انه حيل بينه وبين الفعل بحائل فمثل هذا يأثم .

وعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " من أخذ أموال الناس يريد أداءها أدى الله عنه ومن أخذ يريد إتلافها أتلفه الله عليه " . رواه البخاري .

٥ – اهل السنة وللجماعة يثبتون صفة القرب لله تعالى على ما يليق بربنا جل في علاه من غير تكييف ولا تعطيل ومن غير تحريف ولا تمثيل لكنهم يختلفون في النصوص الوارد هل هي مما يدخل في هذه الصفة او لا ؟

وهل الاية تتحدث عن صفة قرب الله او انها تتحدث عن قرب الملائكة والذي اختاره شيخ الاسلام وابن تيمية ان الاية في قرب ملائكة الموت عند نزع الروح

فالله تعالى له قرب من عباده في بعض الاحوال على ما يليق به نثبته ولا نعرف كيفيته كما اننا لا نعرف كيف ذاته فلا نعرف كيف قربه . كما قال تعالى " {فَإِنِّي قَرِيبٌ} [البقرة:١٨٦]،وقول النبي صلى الله عليه وسلم "وهو أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته"،، قال شيخ الاسلام " فهذا إنما جاء في الدعاء لم يذكر أنه قريب من العباد في كل حال، وإنما ذكر ذلك في بعض الأحوال، وقد قال في الحديث" أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد" وقال تعالى: {وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ} [العلق:١٩]، والمراد القرب من الداعي في سجوده، كما قال "وأما السجود فأكثروا فيه من الدعاء، فَقَمِنٌ أن يستجاب لكم" [أي: فخليق وجدير]، فأمر بالاجتهاد في الدعاء في السجود مع قرب العبد من ربه وهو ساجد"

فالقرب الذي وصف الله سبحانه وتعالى به نفسه في كتابه هو القرب الخاص من العابد الداعي والساجد ونحوه .

يَعْنِي مَلَائِكَتُهُ تَعَالَى أَقْرَبُ إِلَى الْإِنْسَانِ مِنْ حَبْلِ وَرِيدِهِ إِلَيْهِ وهو اختيار شيخ الاسلام ابن تيمية وابن كثير .
، وَهناك مَنْ تَأَوَّلَهُ عَلَى الْعِلْمِ ، وَلَكِنَّ اللَّفْظَ لَا يَقْتَضِيهِ فَإِنَّهُ لَمْ يَقِلْ: وَأَنَا أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ، وَإِنَّمَا قَالَ: {وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ} كَمَا قَالَ في المحتضر {وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ} يعني ملائكته، فالملائكة أَقْرَبُ إِلَى الْإِنْسَانِ مِنْ حَبْلِ وَرِيدِهِ إِلَيْهِ، بإقدار الله جلَّ وعلا لهم على ذلك.
قال مجاهد(حَبْلِ الْوَرِيدِ): الذي يكون في الحلق.
وحبل الوريد هنا اضافة بيانية لبيان جنس المضاف او توضيحه فكلمة الوريد تبين ما هو الحبل أي ان الحبل نفسه الوريد كقولهم مسجد الجامع .

، أما القرب العام فلم يرد في الكتاب ولا في السنة مضافاً إليه سبحانه وتعالى.
وقال ايضا "وَلَا يَلْزَمُ مِنْ جَوَازِ الْقُرْبِ عَلَيْهِ أَنْ يَكُونَ كُلُّ مَوْضِعٍ ذُكِرَ فِيهِ قُرْبُهُ يُرَادُ بِهِ قُرْبُهُ بِنَفْسِهِ بَلْ يَبْقَى هَذَا مِنْ الْأُمُورِ الْجَائِزَةِ وَيُنْظَرُ فِي النَّصِّ الْوَارِدِ فَإِنْ دَلَّ عَلَى هَذَا حُمِلَ عَلَيْهِ وَإِنْ دَلَّ عَلَى هَذَا حُمِلَ عَلَيْهِ "
وقال ايضا "فقوله: {وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ} [ق:١٦] هو قرب ذوات الملائكة وقرب علم اللّه منه، وهو رب الملائكة والروح، وهم لا يعلمون شيئًا إلا بأمره؛ فذاتهم أقرب إلى قلب العبد من حبل الوريد، فيجوز أن يكون بعضهم أقرب إليه من بعض؛ ولهذا قال في تمام الآية: {إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ} [ق:١٧– ١٨]، وهذا كقوله: {أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُم بَلَى وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ} [الزخرف:٨٠]، فقوله: [إذ] ظرف، فأخبر أنهم {وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ} [ق:١٦] حين يتلقى المتلقيان، ما يقول {عن اليمين} قعيد {وعن الشمال قعيد} ثم قال: {مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ} [ق:١٧– ١٨] أي: شاهد لا يغيب. فهذا كله خبر عن الملائكة،."
فاذا كان الله قريب من كل محتضر سيكون الله قريب من الكافرين وهذا لم يرد في كتاب الله تعالى .
فالقرب هنا هو قرب الملائكة،
فبعض اهل العلم من فسره بالعلم لظنه ان المراد به قرب الله وانه مثل المعية ورد ذلك شيخ الاسلام ان الرب جل وعلا كما تقدم وقالان الله تعالى لم يصف نفسه بالقرب من كل أحد. وانما القرب الوارد هو قرب خاص من اولياءه
فلو كان القرب عاماً لما كان هناك تمايز بين قربه من الميت وقربه من الحاضرين، فلا وجه للتخصيص، إلا أن القرب هنا هو قرب الملائكة.
وقال ابن عثيمن " بقى أن يقال: فلماذا أضاف الله القرب إليه، وهل جاء نحو هذا التعبير مرادًا به الملائكة؟.
فالجواب: أضاف الله تعالى قرب ملائكته إليه لأن قربهم بأمره، وهم جنوده ورسله.
وقد جاء نحو هذا التعبير مرادًا به الملائكة، كقوله تعالى: {فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ}، فإن المراد به قراءة جبريل القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم، مع أن الله تعالى أضاف القراءة إليه، لكن لما كان جبريل يقرؤه على النبي صلى الله عليه وسلم بأمر الله تعالى صحت إضافة القراءة إليه تعالى. وكذلك جاء في قوله تعالى: {فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ}، وإبراهيم إنما كان يجادل الملائكة الذين هم رسل الله تعالى."

قال تعالى {إذ يتلقى الملتقيان} يَعْنِي الْمَلَكَيْنِ اللَّذَيْنِ يَكْتُبَانِ عَمَلَ الْإِنْسَانِ {عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ} أَيْ مُتَرَصِّدٌ،فلا يشغله عنه شاغل .

{مَّا يَلْفِظُ} أَيِ ابْنُ آدَمَ {مِن قَوْلٍ} أَيْ مَا يَتَكَلَّمُ بِكَلِمَةٍ ومن نكرة في سياق النفي فتعم كل قول، {إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ} [(١٨) سورة ق] "حافظ" {عَتِيدٌ} "حاضر وكل منهما بمعنى المثنى أي إلاّ ولها من يرقبها، معد لِذَلِكَ يَكْتُبُهَا، لَا يَتْرُكُ كَلِمَةً وَلَا حَرَكَةً، كَمَا قَالَ تَعَالَى: {وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ * كِرَاماً كاتبين * يعملون ما تفعلون} فهم يكتبون القول ويكتبون العمل .ووصف الملائكة بانهم كرام ليُستحا منهم ولو جعلت على الانسان كامرات تصور ظاهره لحسب لها الف حساب فكيف بمن يعلم ما توسوس به النفوس .

و"قعيد" (أي : قاعد (اسم فاعل) ، ولم يقل : قعيدان ، لأنه أراد : عن اليمين قعيد وعن الشمال قعيد ، فاكتفى بأحدهما عن الآخر ، هذا قول أهل البصرة. (قاله سيبوية)

، وقيل :أراد بالقعيد الملازم الذي لا يبرح ، لا القاعد الذي هو ضد القائم.

وإنما المراد بالفعيل صيغة المبالغة، صيغة المبالغة تدل على الملازمة، ملازمة هذا القعود فقالوا القعيد يشير الى طول المكث بخلاف الجلوس الذي يكون لفترة قصيرة.

وقعيد: فعيل، تصلح للواحد والاثنين والجمع والمذكر والمؤنث، ولذا ما قال: قعيدان، عن اليمين وعن الشمال قعيدان، كما في قول الله –جل وعلا–: {إِنَّ رَحْمَتَ اللهِ قَرِيبٌ} [(٥٦) سورة الأعراف] ما قال: قريبة، قريب من المحسنين (قاله الاخفش)

وَقَدِ اخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ هَلْ يَكْتُبُ الْمَلَكُ كُلَّ شَيْءٍ مِنَ الْكَلَامِ (وَهُوَ قَوْلُ الْحَسَنِ وقَتَادَةَ)، أَوْ إِنَّمَا يَكْتُبُ مَا فِيهِ ثَوَابٌ وَعِقَابٌ (وهو قَوْلُ ابْنِ عَبَّاسٍ) عَلَى قَوْلَيْنِ: وَظَاهِرُ الْآيَةِ الأول لعموم قوله تبارك وتعالى: {مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ}.ف"قول" نكرة في سياق النفي فتعم ودخول "من" عليها ينقلها من الظهور في العموم الى التنصيص في العموم.

وموطن الخلاف إذا كان الذي عن اليمين يكتب الحسنات والذي عن الشمال يكتب السيئات فمن الذي يكتب الكلام المباح؟

والذين قالوا بالعموم قالوا يكتب كل شيء ثم يمحى ما لا ثواب فيه ولا عقاب .

وقد روى الإمام أحمد، عن بلال بن الحارث المزني رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ تَعَالَى مَا يَظُنُّ أن تبلغ ما بلغت يكتب الله عزَّ وجلَّ لَهُ بِهَا رِضْوَانَهُ إِلَى يَوْمِ يَلْقَاهُ، وَإِنَّ الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط اللَّهِ تَعَالَى مَا يَظُنُّ أَنْ تَبْلُغَ مَا بلغت يكتب الله تعالى عليه بها سخطه إلى يوم يلقاه» (رواه أحمد والترمذي والنسائي وابن ماجة) فَكَانَ عَلْقَمَةُ يَقُولُ: كَمْ مِنْ كَلَامٍ قَدْ منعنيه حديث بلال بن الحارث،

والانسان قد يعمل العمل كذلك او يكتب الكتابة فيرفع بها او يخفض عند الله تعالى بل قد يقول القول الحسن ونيته فيه سيئة كمن يريد بذلك رفع نفسه لا يبتغي به وجه الله تعالى فالملك يكتب الاقوال والافعال والنوايا .

وعن معاذ بن جبل قال كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم في سفر فأصبحت يوما قريبا منه ونحن نسير فقلت يا رسول الله أخبرني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني عن النار قال لقد سألتني عن عظيم وإنه ليسير على من يسره الله عليه تعبد الله ولا تشرك به شيئا وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت ثم قال ألا أدلك على أبواب الخير الصوم جنة والصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار وصلاة الرجل من جوف الليل قال ثم تلا (تتجافى جنوبهم عن المضاجع) حتى بلغ (يعملون) ثم قال ألا أخبرك برأس الأمر كله وعموده وذروة سنامه قلت بلى يا رسول الله قال رأس الأمر الإسلام وعموده الصلاة وذروة سنامه الجهاد ثم قال ألا أخبرك بملاك ذلك كله قلت بلى يا نبي الله فأخذ بلسانه قال كف عليك هذا فقلت يا نبي الله وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به فقال ثكلتك أمك يا معاذ وهل يكب الناس في النار على وجوههم أو على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح

ولا شك أن من كثر كلامه كثر سقطه

وَقَالَ الْأَحْنَفُ بْنُ قَيْسٍ: صَاحِبُ الْيَمِينِ يَكْتُبُ الخير وهو أمين عَلَى صَاحِبِ الشِّمَالِ، فَإِنْ أَصَابَ الْعَبْدُ خَطِيئَةً قَالَ لَهُ: أَمْسِكْ، فَإِنِ اسْتَغْفَرَ اللَّهَ تَعَالَى نهاه أن يكتبها وإن أبى كتبها، وَقَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ؛ وَتَلَا هَذِهِ الْآيَةَ {عَنِ اليمين وَعَنِ الشمال قَعِيدٌ}: يا ابن آدَمَ بُسِطَتْ لَكَ صَحِيفَةٌ، وَوَكَّلَ بِكَ مَلَكَانِ كَرِيمَانِ أَحَدُهُمَا عَنْ يَمِينِكَ وَالْآخَرُ عَنْ شِمَالِكَ، فَأَمَّا الَّذِي عَنْ يَمِينِكَ فَيَحْفَظُ حَسَنَاتِكَ، وَأَمَّا الَّذِي عَنْ يَسَارِكَ فَيَحْفَظُ سَيِّئَاتِكَ، فَاعْمَلْ مَا شِئْتَ، أَقْلِلْ أَوْ أَكْثِرْ، حَتَّى إِذَا مِتَّ طُوِيَتْ صَحِيفَتُكَ وَجُعِلَتْ فِي عُنُقِكَ مَعَكَ فِي قَبْرِكَ، حَتَّى تَخْرُجَ يوم القيامة، فعند ذلك يقال لك: {اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا} ثُمَّ يَقُولُ: «عَدَل وَاللَّهِ فِيكَ مَنْ جَعَلَكَ حسيب نفسك».

وقال ابْنِ عَبَّاسٍ {مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ} قَالَ: يَكْتُبُ كُلَّ مَا تَكَلَّمَ بِهِ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ، حَتَّى إِنَّهُ لَيَكْتُبُ قَوْلَهُ: أَكَلْتُ، شَرِبْتُ، ذَهَبْتُ، جِئْتُ، رَأَيْتُ. حَتَّى إِذَا كَانَ يَوْمُ الْخَمِيسِ عَرَضَ قَوْلَهُ وَعَمَلَهُ، فأقَرَّ مِنْهُ مَا كَانَ فِيهِ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ وَأَلْقَى سَائِرَهُ، وَذَلِكَ قوله تعالى: {يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الكتاب}. وَذُكِرَ عَنِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ أَنَّهُ كَانَ يَئِنُّ في مرضه، فبلغه عن طاووس أَنَّهُ قَالَ: يَكْتُبُ الْمَلَكُ كُلَّ شَيْءٍ حَتَّى الْأَنِينَ، فَلَمْ يَئِنَّ أَحْمَدُ حَتَّى مَاتَ رَحِمَهُ الله.

قيل ان الحفظة نفسهم الكرام الكاتبين

وقيل انهم اربعة فالكتبة عن اليمين والشمال والحفظة امامه وخلفه قال تعالى {لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ }(الرعد ١١).

وجاء عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال

: (يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ويجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر ثم يعرج الذين باتوا فيكم فيسألهم وهو أعلم بهم كيف تركتم عبادي ؟ فيقولون تركناهم وهم يصلون وأتيناهم وهم يصلون) متفق عليه.

فالملائكة أنواع منها ملائكة ملازمة للعبد لا تنفك عنه البتة، ومنها ملائكة تنفك عنه وتفارقه في بعض المواضع أو لبعض الأسباب.

فدخول الخلاء، وجماع الإنسان لأهله، وكون الإنسان يكون جُنُباً، وأشباه ذلك مما جاء في الأحاديث، هذا من أسباب أنَّ بعض الملائكة لا يرافقونه، ينفكون عنه.

والحَفَظَة بخصوصهم هؤلاء ينفكون عن ملازمته اذا جاء قدر الله الذي قُدِّر له وأما الكتبة فإنهم لا ينفكون عن مرافقته.

وقوله تبارك وتعالى: {وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ منه تحيد} وسكرة الموت شدته التي كانها تسلب عقل المرء لشدة النزع كما قال تعالى {وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد}فالانسان ربما في حال الشدة يفقد شعوره حتى انه ربما يكلمه الناس فلا يشعر بهم .

والانسان لا يعرف متى يموت واين يموت وكيف يموت وعلى أي هيئة يموت نسأل حسن الخاتمة.

{ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ} أَيْ هَذَا هُوَ الَّذِي كُنْتَ تَفِرُّ مِنْهُ قَدْ جاءك، فلا محيد ولامناص ولا فكاك ولا خلاص، والصحيح أَنَّ الْمُخَاطَبَ بِذَلِكَ الْإِنْسَانُ مِنْ حَيْثُ هُوَ، وقيل: الكافر، وقيل غير ذلك، روي أنه لَمَّا أَنْ ثَقُلَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ جَاءَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فَتَمَثَّلَتْ بِهَذَا الْبَيْتِ:

لَعَمْرُكَ مَا يُغْنِي الثَّرَاءُ عَنِ الْفَتَى * إِذَا حَشْرَجَتْ يَوْمًا وَضَاقَ بِهَا الصَّدْرُ

فكشف عن وجهه وقال رضي الله عنه: لَيْسَ كَذَلِكَ، وَلَكِنَّ قَوْلِي: {وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ}. وَقَدْ ثَبَتَ فِي الصَّحِيحِ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ لَمَّا تَغَشَّاهُ الْمَوْتُ جَعَلَ يَمْسَحُ الْعَرَقَ عَنْ وجهه ويقول: «سبحان الله أن للموت سكرات».

وَفِي قَوْلِهِ: {ذَلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ} قولان:

(أحدهما): أن (ما) ههنا مَوْصُولَةٌ أَيِ الَّذِي كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ بِمَعْنَى تبتعد وَتَفِرُّ، قَدْ حلَّ بِكَ وَنَزَلَ بِسَاحَتِكَ.

(وَالْقَوْلُ الثَّانِي): أَنَّ (مَا) نَافِيَةٌ بِمَعْنَى: ذَلِكَ مَا كنت تحيد اي تقدر على الفرار منه ولا الحيد عنه. كقول الله تعالى { قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ } (الجمعة ٨)

فعلى الانسان يستعد لذلك بالعمل الصالح وكثرة من دعاء الله ان يرزقه الميتة الحسنة .

وقوله تبارك وتعالى: {وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ} وذكر فعل النفخ بالماضي وهو مستقبل اشارة الى تحقق وقوعه كما قال تعالى {اتى امر الله فلا تستعجلوه }

وَفِي الْحَدِيثِ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «كَيْفَ أَنْعَمُ وَصَاحِبُ الْقَرْنِ قَدِ الْتَقَمَ الْقَرْنَ وحَنَى جَبْهَتَهُ وَانْتَظَرَ أَنْ يُؤْذَنَ لَهُ». قَالُوا: يَا رسول الله كيف نقول؟ قال صلى الله عليه وسلم: "قُولُوا: حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ"، فَقَالَ الْقَوْمُ: حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ. رواه الترمذي وصححه الالباني

وقد اختلف العلماء في عدد النفخات فقال بعضهم: إنها ثلاث نفخات: نفخة الفزع ثم بعدها نفخة الصعق ثم بعدها نفخة النشور. وقد نص ابن كثير في تفسيره على هذه الثلاث بعد ذكره لحديث مسلم الطويل وفيه.. :ثم نفخ في الصور فلا يسمعه أحد إلا أصغى ليتا ورفع ليتا .قال ابن كثير :الليت هو صفحة العنق، أي أمال عنقه ليستمعه من السماء جيداً فهذه نفخة الفزع، ثم بعد ذلك نفخة الصعق وهو الموت، ثم بعد ذلك نفخة القيام لرب العالمين.

وذهب آخرون إلى أن عدد النفخات اثنتان، وقد رجح هذا القول القرطبي في تفسيره حيث قال :والصحيح أن النفخ في الصور أنهما نفختان لا ثلاث، وأن نفخة الفزع إنما تكون راجعة إلى نفخة الصعق لأن الأمرين لا زمان لهما أي فزعوا فزعا فماتوا منه.

وعن عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " يخرج الدجال فيمكث أربعين " لا أدري أربعين يوما أو شهرا أو عاما " فيبعث الله عيسى ابن مريم كأنه عروة بن مسعود فيطلبه فيهلكه ثم يمكث في الناس سبع سنين ليس بين اثنين عداوة ثم يرسل الله ريحا باردة من قبل الشام فلا يبقى على وجه الأرض أحد في قلبه مثقال ذرة من خير أو إيمان إلا قبضته حتى لو أن أحدكم دخل في كبد جبل لدخلته عليه حتى تقبضه " قال : " فيبقى شرار الناس في خفة الطير وأحلام السباع لا يعرفون معروفا ولا ينكرون منكرا فيتمثل لهم الشيطان فيقول ألا تستجيبون ؟ فيقولون : فما تأمرنا ؟ فيأمرهم بعبادة الأوثان وهم في ذلك دار رزقهم حسن عيشهم ثم ينفخ في الصور فلا يسمعه أحد إلا أصغى ليتا ورفع ليتا " قال : " وأول من يسمعه رجل يلوط حوض إبله فيصعق ويصعق الناس ثم يرسل الله مطرا كأنه الطل فينبت منه أجساد الناس ثم ينفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون ثم يقال : يا أيها الناس هلم إلى ربكم وقفوهم إنهم مسؤولون . فيقال : أخرجوا بعث النار . فيقال : من كم ؟ كم ؟ فيقال : من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين " قال : " فذلك يوم يجعل الولدان شيبا وذلك يوم يكشف عن ساق " . رواه مسلم .

{ذلك يوم الوعيد} ويوم القيامة فيه وعد ووعيد ولكنه ذكر الوعيد للترهيب منه

{وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ} أَيْ مَلَكٌ يَسُوقُهُ إِلَى المحشر، وملك يشهد عليه بأعماله، هذه هُوَ الظَّاهِرُ مِنَ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ وَهُوَ اخْتِيَارُ ابن جرير، لما روي عن يحيى بن رافع قال: سمعت عثمان بن عفان رضي الله عنه يَخْطُبُ فَقَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ {وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ} فَقَالَ: سَائِقٌ يَسُوقُهَا إِلَى الله تعالى، وَشَاهِدٌ يَشْهَدُ عَلَيْهَا بِمَا عَمِلَتْ، وَكَذَا قَالَ مجاهد وقتادة، وقال أبو هُرَيْرَةَ: السَّائِقُ الْمَلَكُ، وَالشَّهِيدُ الْعَمَلُ، وَكَذَا قَالَ الضحّاك والسدي، وقال ابْنِ عَبَّاسٍ: السَّائِقُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، وَالشَّهِيدُ الْإِنْسَانُ نَفْسُهُ يَشْهَدُ عَلَى نَفْسِهِ (يعني الجوارح)، وَبِهِ قَالَ الضَّحَّاكُ أيضاً.

وهذا من باب قيام الحجة، والله –جل وعلا– عالم بما يعملون، وعالم بما تؤول إليه أمورهم، وليس بحاجة إلى من يشهد، لكنه من باب إقامة الحجة، ولذا يقول أهل العلم: أن القاضي لا يحكم بعلمه، بل لا بد من المقدمات الشرعية، والله –جل وعلا– يعلم السر وأخفى، يعلم ما تكنه الضمائر، ويعلم ما تخونه الأبصار، لكنه من باب قطع الحجة أتي بالصحف ووضعت في الميزان، وشهد على الإنسان أقرب الناس إليه وهو أبعاضه وأجزاؤه،

وقوله تعالى: {لَّقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ اليوم حَدِيدٌ} قيل: إن المراد بذلك الكافر، وقيل: أَنَّ الْمُرَادَ بِذَلِكَ كُلُّ أَحَدٍ مِنْ بَرٍّ وَفَاجِرٍ، لِأَنَّ الْآخِرَةَ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الدُّنْيَا كَالْيَقِظَةِ، وَالدُّنْيَا كَالْمَنَامِ، وَهَذَا اخْتِيَارُ ابْنِ جرير (وهو منقول عن ابن عباس رضي الله عنهما)، والظاهر من السياق أن الْخِطَابُ مَعَ الْإِنْسَانِ مِنْ حَيْثُ هُوَ، وَالْمُرَادُ بقوله تعالى: {لَقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا} غفلة في الدنيا، من هذا "النازل بك في هذا اليوم" .

{فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءكَ} [(٢٢) سورة ق] "أزلنا غفلتك بما تشاهده اليوم" {فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ} "حاد تدرك به ما أنكرته في الدنيا" وهذا اذا كان الخطاب للكافر ومنهم من يقول: إن المخاطب الجنس جنس الإنسان، الجنس المؤمن والكافر، كان في غفلة من هذا الذي سيحصل، حتى المؤمن عنده شيء من الغفلة، ولولا هذه الغفلة لعمر وقته كله بطاعة الله، ولما ترك لحظة تفوت من عمره إلا فيما يرضي الله –جل وعلا.

وقيل بالنسبة للمؤمن ينكشف عنه ما كان يؤمن به غيبا فيصبح مشاهدا فيرى الملائكة وليس الخبر كالمعاينة .

فقوله تعالى {فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ اليوم حَدِيدٌ} أي قوي، لأن كل أحد يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ مُسْتَبْصِرًا، حَتَّى الْكُفَّارُ فِي الدُّنْيَا يَكُونُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى الِاسْتِقَامَةِ، لَكِنْ لَا يَنْفَعُهُمْ ذَلِكَ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يوم يأتوننا}، وقال عزَّ وجلَّ: {ولو ترى إذ المجرمون ناكسو رؤوسهم عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحاً إِنَّا موقنون}.

قال تعالى {وَقَالَ قَرِينُهُ هَذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ }(ق٢٣)

يَقُولُ تَعَالَى مُخْبِرًا عَنِ الملك الموكل بعمل ابن آدَمَ، أَنَّهُ يَشْهَدُ عَلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِمَا فَعَلَ وَيَقُولُ: {هَذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ} أَيْ معتد بِلَا زِيَادَةٍ وَلَا نُقْصَانٍ، وَقَالَ مُجَاهِدٌ: هَذَا كَلَامُ الْمَلَكِ السَّائِقِ يَقُولُ: هَذَا ابْنُ آدَمَ الَّذِي وَكَّلْتَنِي بِهِ قَدْ أَحْضَرْتُهُ، وَقَدِ اخْتَارَ ابن جرير أنه يَعُمَّ السَّائِقَ وَالشَّهِيدَ، وَلَهُ اتِّجَاهٌ وَقُوَّةٌ، فَعِنْدَ ذلك يحكم الله تَعَالَى فِي الْخَلِيقَةِ بِالْعَدْلِ فَيَقُولُ: {أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ}، وَقَدِ اخْتَلَفَ النُّحَاةُ فِي قَوْلِهِ: {أَلْقِيَا} فَقَالَ بَعْضُهُمْ: هِيَ لُغَةٌ لبعض العرب يخاطبون المفرد بالتثنية، وَالظَّاهِرُ أَنَّهَا مُخَاطَبَةٌ مَعَ السَّائِقِ وَالشَّهِيدِ، فَالسَّائِقُ أَحْضَرَهُ إِلَى عَرْصَةِ الْحِسَابِ، فَلَمَّا أَدَّى الشَّهِيدُ عَلَيْهِ، أَمَرَهُمَا اللَّهُ تَعَالَى بِإِلْقَائِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ {أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ} أَيْ كَثِيرُ الْكُفْرِ وَالتَّكْذِيبِ بِالْحَقِّ {عَنِيدٍ} مُعَانِدٌ لِلْحَقِّ مُعَارِضٌ لَهُ بِالْبَاطِلِ مَعَ علمه بذلك،

{مَّنَّاعٍ للخير}والخير هو المال كما قال تعالى {ان ترك خيرا} ومناع: صيغة مبالغة للمنع للخير الواجب عليه كالزكاة والنفقات، أو مناع لمن أراد أن يدخل في الإسلام كما قيل في شأن الوليد أنه منع أبناء أخيه من الدخول في الإسلام، هذا مناع للخير –نسأل الله العافية–، وهذا أعظم من منع المال، ويدخل في ذلك أيضاً من يمنع ما وجب عليه.

أي لا يؤدي ما عليه من الحقوق، لا بر وَلَا صِلَةَ وَلَا صَدَقَةَ، {مُعْتَدٍ} أَيْ فِيمَا يُنْفِقُهُ وَيَصْرِفُهُ، يَتَجَاوَزُ فِيهِ الْحَدَّ، وَقَالَ قَتَادَةُ: معتد في منطقة وسيره وَأَمْرِهِ، {مُّرِيبٍ} أَيْ شَاكٌّ فِي أَمْرِهِ، مُرِيبٌ لِمَنْ نَظَرَ فِي أَمْرِهِ،والفرق بين الشك والريب ان الريب فيه قلق والشك لا يلزم منه ذلك .

{الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ} أَيْ أَشْرَكَ بِاللَّهِ فَعَبَدَ معه غيره، {فَأَلْقِيَاهُ فِي العذاب الشديد}، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: "يَخْرُجُ عُنُقٌ مِنَ النَّارِ يَتَكَلَّمُ يَقُولُ: وكلت اليوم بثلاثة: بكل جبار عنيد، وَمَنْ جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ، وَمَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ، فَتَنْطَوِي عَلَيْهِمْ فَتَقْذِفُهُمْ في غمرات جهنم" (أخرجه الإمام أحمد في المسند).

{قَالَ قرِينُهُ} قال ابن عباس ومجاهد: هُوَ الشَّيْطَانُ الَّذِي وُكِّلَ بِهِ، {رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُ}والمراد بالقرين هنا الشيطان كما روى عُرْوَةَ عن عَائِشَةَ زَوْجَ النَّبِيِّ –صلى الله عليه وسلم– أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم– خَرَجَ مِنْ عِنْدِهَا لَيْلاً. قَالَتْ فَغِرْتُ عَلَيْهِ فَجَاءَ فَرَأَى مَا أَصْنَعُ فَقَالَ « مَا لَكِ يَا عَائِشَةُ أَغِرْتِ ». فَقُلْتُ وَمَا لِى لاَ يَغَارُ مِثْلِى عَلَى مِثْلِكَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم– « أَقَدْ جَاءَكِ شَيْطَانُكِ ». قَالَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَوَمَعِىَ شَيْطَانٌ قَالَ « نَعَمْ ». قُلْتُ وَمَعَ كُلِّ إِنْسَانٍ قَالَ « نَعَمْ ». قُلْتُ وَمَعَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ « نَعَمْ وَلَكِنْ رَبِّى أَعَانَنِى عَلَيْهِ حَتَّى أَسْلَمَ ».رواه مسلم.

أَيْ يَقُولُ عَنِ الْإِنْسَانِ الَّذِي قَدْ وَافَى الْقِيَامَةَ كَافِرًا يَتَبَرَّأُ مِنْهُ شَيْطَانُهُ فَيَقُولُ: {رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُ} أَيْ مَا أَضْلَلْتُهُ، {وَلَكِنْ كَانَ فِي ضَلاَلٍ بَعِيدٍ} أَيْ بَلْ كَانَ هو في نفسه ضالاً، معانداً للحق، كما أخبر

سبحانه فِي قَوْلِهِ: {وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِّن سُلْطَانٍ إِلاَّ أَن دَعَوْتُكُمْ فاستجبتم لِي} الآية.

وقوله تبارك وتعالى: {قَالَ لاَ تَخْتَصِمُواْ لَدَيَّ} يَقُولُ الرَّبُّ عزَّ وجلَّ لِلْإِنْسِيِّ وَقَرِينِهِ مِنَ الْجِنِّ، وَذَلِكَ أَنَّهُمَا يختصمان بين يدي الحق تعالى، فيقول الإنسي: يارب هَذَا أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِي، وَيَقُولُ الشَّيْطَانُ: {رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُ وَلَكِنْ كَانَ فِي ضَلاَلٍ بَعِيدٍ} أَيْ عَنْ مَنْهَجِ الْحَقِّ، فَيَقُولُ الرَّبُّ عزَّ وجلَّ لَهُمَا: {لاَ تَخْتَصِمُواْ لَدَيَّ} أَيْ عِنْدِي، {وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِالْوَعِيدِ} أَيْ قَدْ أَعْذَرْتُ إِلَيْكُمْ عَلَى أَلْسِنَةِ الرُّسُلِ، وأنزلت الكتب وقامت عليكم الحجج والبراهين، {وما يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ}قال ابن جرير هُوَ قَوْلُهُ {لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ} وقَالَ مُجَاهِدٌ:" يَعْنِي قَدْ قَضَيْتُ مَا أَنَا قَاضٍ"، ما يبدل القول لدي في ذلك، في الحكم، في الوعيد، ما يبدل، وهذا بالنسبة للكافر المشرك ما فيه

تبديل، ما يمكن بحال من الأحوال أن يبدل القول فيدخل المشرك الجنة، {إِنَّ اللهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاء} [(٤٨) سورة النساء] .

وقال بعض اهل اللغة لا يستطيع احد ان يبدل القول فيكذب ويجعل الحق باطلا كما الحال في الدنيا قالوا لان الله لم يقل ما يبدل قولي وانما قال ما يبدل القول لدي.

{وَمَآ أَنَاْ بِظَلاَّمٍ لِّلْعَبِيدِ} أَيْ لَسْتُ أُعَذِّبُ أَحَدًا بِذَنْبِ أَحَدٍ، وَلَكِنْ لَا أُعَذِّبُ أَحَدًا إِلَّا بِذَنْبِهِ، بَعْدَ قِيَامِ الْحُجَّةِ عَلَيْهِ.

وظلام: "بمعنى: ذي ظلم فصيغة المبالغة قد تأتي ويرد بها النسبة في لغة العرب ، لينتفي الظلم كله عن الله –جل وعلا–،كما قال تعالى {ان الله لا يظلم مثقال ذرة } وقوله تعالى: {لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ} [(١٧) سورة غافر] " لا ظلم نافية للجنس، لجنس الظلم، الظلم كله منفي، فعندنا ظلام، ولا يظلم، ولا يريد ظلماً للعالمين، ليس بظلام، ولا يظلم ربك أحداً، ولا يريد الظلم، أبلغها؟ لا يريد؛ لأن نفي إرادة الشيء أبلغ من نفي الشيء، يليها ما جاء بدون مبالغة ثم آخرها المبالغة، وتؤول المبالغة بمجرد حصول الظلم.

{يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ (٣٠) }

يُخْبِرُ تَعَالَى أَنَّهُ يَقُولُ لجهنم يوم القيامة هل امتلأت؟ "استفهام وتحقيق لوعده بملئها" {لأَمْلأنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ} [(١١٩) سورة هود] وَهِيَ تَقُولُ: هَلْ مِن مَّزِيدٍ؟ أَيْ هَلْ بَقِيَ شَيْءٌ تَزِيدُونِي؟ هَذَا هُوَ الظَّاهِرُ مِنْ سياق الآية، وعليه تدل الأحاديث، روى البخاري عند تفسير هذه الآية، عَنْ أَنَس بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "يُلْقَى فِي النَّارِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ؟ حَتَّى يَضَعَ قَدَمَهُ فِيهَا فَتَقُولُ: قَطُّ قَطُّ" وروى الإمام أحمد، عَنْ أَنَس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «لا تَزَالُ جَهَنَّمُ يَلْقَى فِيهَا وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ؟ حتى يضع رب العزة قدمه فيها فَيَنْزَوِي بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ وَتَقُولُ قَطُّ قَطُّ وَعِزَّتِكَ وَكَرَمِكَ، وَلَا يَزَالُ فِي الْجَنَّةِ فَضْلٌ حتى ينشىء الله لها خلقاً آخر فيسكنهم الله تعالى في فضول الجنة» (أخرجه أحمد ورواه مسلم في صحيحه بنحوه). وقد قط يعني يكفي، حسبي حسبي امتلأت، فكانت قبل ذلك حينما تقول: "هل من مزيد" لم تمتلئ بعد، وأولى ما يفسر به القرآن القرآن ثم السنة.

وَرَوَى الْبُخَارِيُّ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "تَحَاجَّتِ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ، فَقَالَتِ النَّارُ: أُوثِرْتُ بالمتكبرين والتمجبرين؛ وقالت الجنة: مالي لَا يَدْخُلُنِي إِلَّا ضُعَفَاءُ النَّاسِ وَسَقْطُهُمْ؟ قَالَ اللَّهُ عزَّ وجلَّ، لِلْجَنَّةِ: أَنْتِ رَحْمَتِي أَرْحَمُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ مِنْ عِبَادِي، وَقَالَ لِلنَّارِ: إنما أنت عذابي أعذب بك من أشاء مِنْ عِبَادِي، وَلِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْكُمَا مِلْؤُهَا. فَأَمَّا النار فلا تمتلىء حتى يضع رجله فيها فتقول: قَطْ قَطْ فهنالك تمتلىء وينزوي بعضها إلى بعض، ولا يظلم الله عزَّ وجلَّ مِنْ خَلْقِهِ أَحَدًا، وَأَمَّا الْجَنَّةُ فَإِنَّ اللَّهَ عزَّ وجلَّ ينشىء لها خلقاً آخر" (أخرجه البخاري في صحيحه). (حديث آخر): روى مسلم في صحيحه، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "احْتَجَّتِ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ فَقَالَتِ النَّارُ: فِيَّ الْجَبَّارُونَ وَالْمُتَكَبِّرُونَ، وَقَالَتِ الْجَنَّةُ: فِيَّ ضُعَفَاءُ النَّاسِ وَمَسَاكِينُهُمْ، فَقَضَى بَيْنَهُمَا؛ فَقَالَ لِلْجَنَّةِ: إِنَّمَا أَنْتِ رَحْمَتِي أَرْحَمُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ مِنْ عِبَادِي، وَقَالَ لِلنَّارِ: إِنَّمَا أَنْتِ عَذَابِي أُعَذِّبُ بِكِ من أشاء من عبادي ولكل واحدة منكما ملؤها" (رواه مسلم).

وعن عِكْرِمَةَ {وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ}: وَهَلْ فيَّ مدخل واحد؟ قد امتلأت.

وقال مجاهد: لَا يَزَالُ يُقْذَفُ فِيهَا حَتَّى تَقُولَ قَدِ امتلأت، فتقول: هل فيّ مَزِيدٍ؟

وَعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ نَحْوَ هَذَا، فَعِنْدَ هَؤُلَاءِ أَنَّ قَوْلَهُ تَعَالَى {هَلِ امْتَلَأْتِ} إِنَّمَا هُوَ بَعْدَ مَا يضع عليها قدمه فتنزوي ويقول حينئذٍ: هل بقي فيَّ مَزِيدٍ يَسَعُ شَيْئًا؟ قَالَ الْعَوْفِيُّ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: وَذَلِكَ حِينَ لَا يَبْقَى فِيهَا مَوْضِعٌ يسع إبرة، والله أعلم.

وبعد ان ذكر ما به يخاف العبد من ربه ذكر ما به يرجو رحمته ليكون العبد بين الخوف والرجاء فلا يغلب الخوف فيقنط من رحمة الله ولا يامن الرجاء فيأمن من مكر الله تعالى فقال تعالى: {وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ} قَالَ قَتَادَةُ والسدي: {وَأُزْلِفَتِ} أُدْنِيَتْ وَقُرِّبَتْ مِنَ الْمُتَّقِينَ،{لِلْمُتَّقِينَ} جمع: متقي، والتقي هو فاعل الواجبات، مجتنب المحرمات، لا يترك واجباً ولا يرتكب محرماً إلا إذا غفلت نفسه وهفت في منكر بادرت للاستغفار منه والتوبة النصوح، فهذا وجوده مثل عدمه، وإلا فليس المتقي معناه المعصوم الذي لا يفعل المنكرات ولا يترك الواجبات، قد يترك واجباً ثم يعود إلى رشده ويعود ويستغفر ويتوب، ولذا قال بعد ذلك: {لِكُلِّ أَوَّابٍ} [(٣٢) سورة ق] قال {لِلْمُتَّقِينَ} "مكاناً" {غَيْرَ بَعِيدٍ} أزلفت: قربت لهم؛ لئلا ينالهم في الذهاب إليها عناء ولا تعب ولا مشقة،كما ان النار تقرب فيأتي بها الملائكة يجرونها " أزلفت: قربت لهم مكاناً (غير بعيد) منهم فيرونها فتتشوق نفوسهم لدخولها، ويقال لهم: (هذا) المرئي –هذه الذي ترونه– ما توعدون، بالتاء والياء –توعدون ويوعدون– في الدنيا" يعني هذا الذي وعدناكم في الدنيا، هذا الذي جاءت به الرسل، هذه هي الجنة، التي فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، "ويبدل من {لِلْمُتَّقِينَ} قوله: {لِكُلِّ أَوَّابٍ} [(٣٢) سورة ق] " وأزلفت الجنة لكل أواب، بدلاً من للمتقين، فكل أواب بدل من المتقين، والمراد بالأواب الرجاع إلى طاعة الله تعالى، صيغة مبالغة، الأواب من الأوبة وهي الرجوع فيما إذا حصل منه غفلة أو هفوة أو زلة فإنه يبادر فيرجع، وكلما غفل رجع وتاب وأناب إلى الله –جل وعلا–، فاستحق المبالغة فقيل: {أَوَّابٍ} "رجاع إلى طاعة الله تعالى أي كثير التوبة والتوبة تكون من المحرمات ومن المكروهات ايضا كما روى مسلم عن مطرفي في سلام الملائكة على عمران بن حصين عنه قال "وَقَدْ كَانَ يُسَلَّمُ عَلَيَّ حَتَّى اكْتَوَيْتُ فَتُرِكْتُ ثُمَّ تَرَكْتُ الْكَيَّ فَعَادَ." ورواه ابن سعد ، والحاكم ؛ ولفظهما – والسياق لابن سعد – :

قال مطرف : أرسل إلي عمران بن حصين في مرضه فقال :

إنه كانت تسلم علي – يعني : الملائكة – ؛ فإن عشت فاكتم علي ، وإن مت ؛ فحدث به إن شئت .وإسناده صحيح كما قال الالباني .ذلك ان الكي تعذيب بالنار فكره لذلك والله اعلم.

، {حَفِيظٍ} [(٣٢) سورة ق] حافظ لحدود الله –جل وعلا–" حافظ لحدود الله، فلا يتعدى ولا يتجاوز فيرتكب المحرمات، {تِلْكَ حُدُودُ اللهِ فَلاَ تَقْرَبُوهَا} [(١٨٧) سورة البقرة] {تِلْكَ حُدُودُ اللهِ فَلاَ تَعْتَدُوهَا} [(٢٢٩) سورة البقرة] لا يتجاوز ولا يقصر دونها، لا يقصر دون الواجبات، ولا يتجاوز إلى المحرمات، فهو حافظ لحدوده.

بخلاف من كان امره فرطا لا يبالي بتضييع حدود الله.

وقال ابن كثير" {حَفِيظٍ} أَيْ يَحْفَظُ الْعَهْدَ فَلَا ينقضه ولا يَنْكُثُهُ، سواء كان العهد بين العبد وربه او بينه وبين الخلق وَقَالَ عُبَيْدُ بْنُ عُمَيْرٍ: الْأَوَّابُ الْحَفِيظُ الَّذِي لَا يَجْلِسُ مَجْلِسًا فَيَقُومُ حَتَّى يَسْتَغْفِرَ اللَّهَ عزَّ وجلَّ"

{مَّنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ} في سره وخلوته وغيابه عن الناس وهذا محل المدح أَيْ مَنْ خَافَ اللَّهَ فِي سِرِّهِ حَيْثُ لا يراه أحد إلا الله عزَّ وجلَّ كقوله صلى الله عليه وسلم: «ورجل ذكر الله تعالى خالياً ففاضت عيناه» (هو صنف من السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم القيامة، والحديث أخرجه الشيخان)

كما قال تعالى { الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ وَهُمْ مِنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ} (الانبياء)

وذكر ابن القيم المعنى الثاني للايمان بالغيب أي في الدنيا يؤمن بامور الغيب وما يكون في القيامة والاول اولى بسياق الاية .

{وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ} أي ولقي الله عزَّ وجلَّ يوم القيامة بقلب منيب سليم والقلب السليم هو الذي لا ينفع من القلوب سواه، {يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ} [(٨٨ – ٨٩) سورة الشعراء] سالم سلامة تامة من شوائب الشرك، من شوائب البدع، من شوائب المعاصي، من شوائب الشبهات، من شوائب الشهوات، هذا القلب الذي ينفع، {يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ} [(٨٨ – ٨٩) سورة الشعراء] وهنا قال: {وَجَاء بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ} [(٣٣) سورة ق] "مقبل على طاعته".

{ادْخُلُوهَا} أَيِ الْجَنَّةَ {بِسَلاَمٍ} بسلام من كل مكدر ومنغص قال قتادة: سَلِموا من عذاب الله عزَّ وجلَّ، وسلّم عليهم الله،

وقد ذكر تعالى أن تحية أهل الجنة في الجنة سلام، أي يسلم بعضهم على بعض بذلك، ويسلمون على الملائكة، وتسلم عليهم الملائكة بذلك، وقد بين تعالى هذا في مواضع أخر، كقوله: {تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلاَمٌ} الآية[٣٣/٤٤]، وقوله: {وَالْمَلاَئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ سَلاَمٌ عَلَيْكُمْ} الآية [١٣/٢٣، ٢٤]، وقوله: {لا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْواً إِلَّا سَلاماً} الآية وقوله: {لا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْواً وَلا تَأْثِيماً إِلَّا قِيلاً سَلاماً سَلاماً} الآية [٥٦/٢٥، ٢٦]، وقوله: {سَلاَمٌ قَوْلاً مِنْ رَبٍّ رَحِيمٍ} [٣٦/٥٨]، إلى غير ذلك من الآيات.

ومعنى السلام: الدعاء بالسلامة من الآفات.

والتحية: مصدر حياك الله بمعنى أطال حياتك.

وقوله سبحانه وتعالى: {وذلك يَوْمُ الْخُلُودِ} أَيْ يَخْلُدُونَ فِي الْجَنَّةِ فَلَا يَمُوتُونَ أَبَدًا وَلَا يَظْعَنُونَ أَبَدًا وَلَا يَبْغُونَ عنها حولاً.

وقوله جلت عظمته: {لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا} أَيْ مَهْمَا اخْتَارُوا وَجَدُوا مِنْ أَيِّ أَصْنَافِ الْمَلَاذِّ طَلَبُوا أُحْضِرَ لهم، وذلك أنهم يسألون الله تعالى حتى تنتهي مسألتهم فيعطون ما شاءوا، ثم يزيدهم الله من عنده ما لم يسألوه، وهو قوله: {وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ } ، يعني الزيادة لهم في النعيم مما لم يخطر ببالهم. وقال جابر وأنس : هو النظر إلى وجه الله الكريم.

عَنْ كَثِيرِ بْنِ مُرَّةَ قَالَ: "مِنَ الْمَزِيدِ أَنَّ تَمُرَّ السَّحَابَةُ بِأَهْلِ الْجَنَّةِ فَتَقُولَ: مَاذَا تُرِيدُونَ فَأُمْطِرُهُ لَكُمْ؟ فَلَا يَدْعُونَ بِشَيْءٍ إِلَّا أمطرتهم".

وروى الإمام أحمد، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِذَا اشْتَهَى الْمُؤْمِنُ الْوَلَدَ فِي الْجَنَّةِ كَانَ حَمْلُهُ وَوَضْعُهُ وَسِنُّهُ فِي سَاعَةٍ واحدة» (رواه أحمد وابن ماجة والترمذي، وزاد الترمذي كما اشتهى (صححه الالباني).

وقوله تعالى: {وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ} كقوله عزَّ وجلَّ: {لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ وزيادة}، وَقَدْ تَقَدَّمَ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنْ صُهَيْبِ بْنِ سِنَانٍ الرُّومِيِّ عَنْ صُهَيْبٍ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، قَالَ: يَقُولُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: تُرِيدُونَ شَيْئًا أَزِيدُكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا؟ أَلَمْ تُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ، وَتُنَجِّنَا مِنَ النَّارِ؟ قَالَ: فَيَكْشِفُ الْحِجَابَ، فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ عَزَّ وَجَلَّ "،

فالرؤية لله –جل وعلا– يوم القيامة يراه المؤمنون، ويثبتها سلف هذه الأمة وأئمتها بإجماع، ولا يخالف فيها إلا المبتدعة.

قال الشنقيطي في الاضواء" وقد تواترت الأحاديث عن النَّبي صلى الله عليه وسلم: أن المؤمنين يرون ربهم يوم القيامة بأبصارهم، وتحقيق المقام في المسألة: أن رؤية الله جل وعلا بالأبصار: جائزة عقلاً في الدنيا والآخرة، ومن أعظم الأدلة على جوازها عقلا في دار الدنيا، قول موسى: {رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ} [١٤٣/٧]؛ لأن موسى لا يخفى عليه الجائز والمستحيل في حق الله تعالى، وأما شرعاً فهي جائزة وواقعة في الآخرة كما دلت عليه الآيات المذكورة، وتواترت به الأحاديث الصحاح، وأما في الدنيا فممنوعة شرعاً كما تدل عليه آية "الأعراف" هذه، وحديث: "إنكم لن تروا ربكم حتى تموتوا"،"

ثمَّ خوَّف تعالى كفار مكة بما حدث للمكذبين قبلهم فقال {وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِّن قَرْنٍ} كَمْ للتكثير وهي خبرية، المعنى كثيرا أَهْلَكْنا قَبْلَهُمْ. والقرن: الأمة من الناس الذين يمر عليهم قدر من الزمن. واختلف الناس في ذلك القدر، فقال الجمهور: مائة سنة، وقيل غير هذا

أي وأهلكنا قبل كفار قريش أمماً كثيرين من الكفار المجرمين

{هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشاً}

وشدة البطش: هي كثرة القوة والأموال والملك والصحة والأدهان إلى غير ذلك.

قوله –عزّ وجلّ–: { فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ } ، ضربوا وساروا وتقلبوا وطافوا، وأصله من النقب وهو الطريق كأنهم سلكوا كل طريق.

وقرأ جمهور من الناس: «فنقّبوا» بشد القاف المفتوحة على إسناد الفعل إلى القرون الماضية، والمعنى: ولجوا البلاد من أنقابها. وفي الحديث: «أن على أنقاب المدينة ملائكة لا يدخلها الطاعون ولا الدجال» . والمراد تطوفوا ومشوا طماعين في النجاة من الهلكة.

وقرأ ابن يعمر وابن عباس ونصر بن سيار وأبو العالية: «فنقّبوا» بشد القاف المكسورة على الأمر لهؤلاء الحاضرين.

و: هَلْ مِنْ مَحِيصٍ توقيف وتقرير، أي لا محيص، والمحيص: المعدل موضع الحيص وهو الروغان والحياد،

قال قتادة: حاص الكفرة فوجدوا أمر الله منيعا مدركا، وفي صدر البخاري فحاصوا حيصة حمر الوحش إلى الأبواب.

وقرأ أبو عمرو في رواية عبيد عنه: «فنقبوا» بفتح القاف وتخفيفها هي بمعنى التشديد، واللفظة أيضا قد تقال بمعنى البحث والطلب، تقول: نقب عن كذا أي استقصى عنه، ومنه نقيب القوم لأنه الذي يبحث عن أمورهم ويباحث عنها، وهذا عندي تشبيه بالدخول من الأنقاب. ،

{ هَلْ مِنْ مَحِيصٍ } ، فلم يجدوا محيصا من أمر الله. وقيل: هل من محيص: مفر من الموت؟

أي فساروا في البلاد، وطوَّفوا فيها وجالوا في أقطارها، فهل كان لهم من الموت مهرب؟ وهل كان لهم من عذاب الله مخلص؟

{ إِنَّ فِي ذَلِكَ } المذكور لكم { لَذِكْرَى } تذكرة وعظة، { لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ } عقل ينتفع به فانما ينتفع بالتذكرة اولو الالباب كما قال تعالى {كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولو الألباب}(ص: ٢٩) .

والمراد به القلب الحيّ الذي يعقل عن الله، فهذا هو المحل القابل كما قال تعالى:{ ان هو الا ذكر وقرآن مبين.لينذر من كان حيّا}(يس ٦٩–٧٠) . أي حي القلب.

{ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ } او هنا بمعنى الواو أي واستمع القرآن، واستمع ما يقال له لا يحدث نفسه بغيره، تقول العرب: ألقِ إليَّ سمعكَ، يعني استمع، { وَهُوَ شَهِيدٌ } ويعني حاضر القلب ليس بغافل ولا ساه.

{إِنَّ فِي ذَلِكَ لذكرى لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السمع وَهُوَ شَهِيدٌ} في ذلك

قال سفيان: لا يكون حاضراً وقلبه غائب وقال الضحاك: العرب تقول: ألقى فلان سمعه إذا استمع بأذنيه وهو شاهد بقلب غير غائب، وعبَّر عن العقل بالقلب لأن موضعه كما قال تعالى {فَإِنَّهَا لاَ تَعْمَى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي فِي الصدور} وان كان له نوع اتصال بالدماغ .

قال تعالى { أَوَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ] العنكبوت:١٠] وقال رسول الله ﷺ :ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت؛ صلح الجسد كله، وإذا فسدت؛ فسد الجسد كله، ألا وهي القلب" فالذي يختاره اهل العلم ان العقل في القلب وله ارتباط بالدماغ فمناط التشريع العقل وخطاب الشرع كله موجه للقلب فدل على ان هناك ارتباط وثيق بين القلب والعقل .

ومن اهل العلم من يختار ان "او" على اصلها ليست بمعنى الواو كما سبق وانما هي للتقسيم

قال ابن تيمية " فَإِنَّ مَنْ يُؤْتَى الْحِكْمَةَ وَيَنْتَفِعُ بِالْعِلْمِ عَلَى مَنْزِلَتَيْنِ. إمَّا رَجُلٌ رَأَى الْحَقَّ بِنَفْسِهِ فَقَبِلَهُ وَاتَّبَعَهُ وَلَمْ يَحْتَجْ إلَى مَنْ يَدْعُوهُ إلَيْهِ. فَذَلِكَ صَاحِبُ الْقَلْبِ. أَوْ رَجُلٌ لَمْ يَعْقِلْهُ بِنَفْسِهِ بَلْ هُوَ مُحْتَاجٌ إلَى مَنْ يُعَلِّمُهُ وَيُبَيِّنُ لَهُ وَيَعِظُهُ وَيُؤَدِّبُهُ. فَهَذَا أَصْغَى فَأَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ. أَيْ حَاضِرُ الْقَلْبِ لَيْسَ بِغَائِبِهِ "

كما قال جبير بن مطعم " سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْرَأُ فِي الْمَغْرِبِ بِالطُّورِ فَلَمَّا بَلَغَ هَذِهِ الْآيَةَ {أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمْ الْخَالِقُونَ أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمْ الْمُسَيْطِرُونَ} قَالَ كَادَ قَلْبِي أَنْ يَطِيرَ " رواه البخاري.

فاستمع له بقلبه ولم يشغله عنه شاغل فان التشاغل بغير يذهب فائدة الاستماع كما قال صلى الله عليه وسلم : " إذا قلت لصاحبك والإمام يخطب يوم الجمعة : أنصت فقد لغوت " متفق عليه وذلك من اجل ان يعي ما يقال فامر بترك الامر بالمعروف لما هو اولى منه.

قال ابن قتيبة: " استمع كتاب الله وهو شاهد القلب والفهم، ليس بغافل ولا ساه". وهو اشارة الى المانع من حصول التأثير، وهو سهو القلب، وغيبته عن تعقّل ما يقال له، والنظر فيه وتأمّله. فاذا حصل المؤثر وهو القرآن، والمحل القابل وهو القلب الحي، ووجد الشرط وهو الاصغاء، وانتفى المانع وهو اشتغال القلب وذهوله عن معنى الخطاب، وانصرافه عنه الى شئ آخر، حصل الأثر وهو الانتفاع والتذكّر."

قال ابن القيم في الفوائد " فان قيل: اذا كان التأثير انما يتم بمجموع هذه، فما وجه دخول أداة "أو" في قوله "أو ألقى السمع"، والموضع موضع واو الجمع لا موضع "أو" التي هي لأحد الشيئين.

قيل: هذا سؤال جيّد والجواب عنه أن يقال: خرج الكلام بـ "أو" باعتبار حال المخاطب المدعو ، فان من الناس من يكون حي القلب واعيه، تام الفطرة، فاذا فكّر بقلبه، وجال بفكره، دلّه قلبه وعقله على صحّة القرآن، وأنه الحق، وشهد قلبه بما أخبر به القرآن، فكان ورود القرآن على قلبه نورا على نور الفطرة، وهذا وصف الذين قيل فيهم: ويرى الذين أوتوا العلم الذي أنزل اليك من ربك هو الحق} سبأ ٦. وقال في حقّهم:{ الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كأنها كوكب درّي يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقيّة ولا غربيّة، يكاد زيتها يضئ ولو لم تمسسه نار نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء ويضرب الله الأمثال للناس والله بكلّ شئ عليم}النور ٣٥.

فهذا نور الفطرة على نور الوحي، وهذا حال صاحب القلب الحيّ الواعي.

.. ومن الناس من لا يكون تام الاستعداد واعي القلب كامل الحياة فيحتاج الى شاهد يميز له بين الحق والباطل ولم تبلغ حياة قلبه ونوره وزكاء فطرته مبلغ صاحب القلب الحي الواعي فطريق حصول هدايته ان يفرغ سمعه للكلام وقلبه لتأمله والتفكير فيه وتعقل معانيه فيعلم حينئذ انه الحق فالأول حال من رأى بعينه ما دعى اليه وأخبر به والثاني حال من علم صدق المخبر وتيقنه وقال يكفيني خبره فهو في مقام الايمان والأول في مقام الاحسان "

قوله –عزّ وجلّ–: { وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ } ، إعياء وتعب.

والسموات سبع ومن الارض مثلهن كما روى مسلم عَنْ سَعِيدِ بْنِ زَيْدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ نُفَيْلٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم– قَالَ « مَنِ اقْتَطَعَ شِبْرًا مِنَ الأَرْضِ ظُلْمًا طَوَّقَهُ اللَّهُ إِيَّاهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ سَبْعِ أَرَضِينَ ».

وفِيهِ تقرير للمعاد، لِأَنَّ مَنْ قَدَرَ عَلَى خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ، قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى بِطَرِيقِ الْأَوْلَى وَالْأَحْرَى.

وَقَالَ قَتَادَةُ: قَالَتِ الْيَهُودُ – عَلَيْهِمْ لِعَائِنُ اللَّهِ – خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ( ) فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَرَاحَ فِيٓ[٦] الْيَوْمِ السَّابِعِ وَهُوَ يَوْمُ السَّبْتِ، وَهُمْ يُسَمُّونَهُ يوم الراحة فأنزل الله تعالى تَكْذِيبَهُمْ فِيمَا قَالُوهُ وَتَأَوَّلُوهُ: {وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ} واللغوب التعب والاعياء وقيل هو الفتور الذي يعقب النصب.

---

[٦] – ابتدع عبد القاهر الجرجاني بدعة نحوية، ويقال: سبقه إلى هذا الرماني؛ كما في "الأشباه والنظائر" في النحو للسيوطي (١٢٢/٤)، وتبعهما على ذلك الزمخشري؛ كما في "التصريح" لخالد الأزهري (٨٠/١)، وابنُ الحاجب في "أماليه"، وابن هشام في "مغني اللبيب"، فقالوا في قوله تعالى: (خَلَقَ اللَهُ السَّمَوَاتِ) ونظائره في سائر المخلوقات: إنه مفعول مطلق، خلاف ما يعربه جمهور النحويين أنه مفعول به، وحملهم على ذلك أمران:

الأول: أن شرط المفعول به أن يكون موجودًا قبل الفعل ليقع عليه الفعل؛ كما صرح به ابن هشام، قالوا: والسموات غير موجودة قبل الخلق، وكذا غيرها من المخلوقات؛ كالعالم والأناسيِّ والموت والحياة؛ كما صرح به الجرجاني، فكيف يقال: مفعول به؟!

الثاني: أن الفعل عندهم في باب صفات الله هو المفعول، لا الفعلُ القائم بالفاعل، وهذا مذهب المعطِّلة نفاة الصفات والأفعال من الجهمية ومن تبعهم؛ فإنهم يقولون: إن الله لا تقوم بذاته الأفعال الاختيارية التي تكون بمشيئته:

فعند هؤلاء النفاة: أن أفعال الله هي المفعولات المنفصلة عنه، وهي المخلوقات، فلم يفرقوا بين الفعل والمفعول.

وعند أهل السنة: أن أفعال الله هي ما يقوم بذاته مما يكون بمشيئته؛ كاستوائه على العرش، ونزوله إلى السماء الدنيا، ومجيئه يوم القيامة، ومن ذلك: الكلام، والخلق، والرضا، والسخط، والمحبة والبغض لمن يشاء.

فالمخلوقات عند أهل السنة هي مفعولاتٌ لله، بائنةٌ عنه؛ فإذا قالوا: هذه أفعالُ الله، فهذا مرادهم، وهذا مبنيٌّ على الفرق عندهم بين الفعل والمفعول؛ وهذا موجَب العقل واللغة؛ فالفعل ما قام بالفاعل، والمفعول به ما وجد بفعل الفاعل بائنا عنه، فالفعل يوجد بقدرة الله ومشيئته، والمفعول يوجد بقدرة الله ومشيئته وبقوله، (إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ)،

.... والأفعال المضافة إلى الله، منها: ما هو عام يتعلق بأفعال خاصة من أفعاله، وبمخلوقاته؛ كقوله: (وَيَفْعَلُ اللهُ مَا يَشَاء)،

ومنها: أفعال خاصة لا تتعلق إلا بالمخلوقات؛ كقوله: (يَخْلُقُ مَا يَشَاء)، وقوله تعالى: (يَهَبُ لِمَنْ يَشَاء)،

فقوله: (وَيَفْعَلُ اللهُ مَا يَشَاء)، يتناول أفعاله القائمة به كاستوائه على العرش، ونزوله إلى السماء الدنيا، وخلقه لما يشاء، وقبضه وبسطه، وتصريفه الرياح، وتقليبه للقلوب، ويتناول مفعولاته، وهي مخلوقاته، فتتضمن معنى: والله يخلق ما يشاء.

والجواب عن حجَّتيهم في إعراب السموات وغيرها من المخلوقات مفعولًا مطلقًا، لا مفعولًا به؛ لأنها لم تكن موجودة، ولأن الفعل في باب صفات الله هو المفعول:

فعن الأولى يقال: إن مادة السموات كانت موجودة؛ قال تعالى: (ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاء وَهِيَ دُخَانٌ)، إلى قوله: (فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ)، وقال تعالى: (هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاء فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ.(وأيضًا: فشرط أن يكون المفعول به موجودًا لم يذكره النحويون، فتجدهم يمثِّلون للمفعول به بقولهم: حفرتُ البئر، وبنيتُ الدار، مما لم يكن موجودًا قبل الفعل ، وهذا يقتضي الفرق في الفعل العامل في المفعول به بين ما يقتضي إيجادًا، كأوجد وخلق وفطر، فلا يشترط في مفعوله أن يكون موجودًا قبل الفعل، بخلاف ما لا يقتضي إيجادًا؛ كضرب زيدًا، وأكل طعامًا، وشرب ماءً، فهذا الذي يشترط في مفعوله أن يكون موجودًا قبل الفعل.

..ويجاب عن الحجة الثانية بما تقدم من الفرق بين الفعل والمفعول، وبطلانِ دعوى اتحادهما، وبطلانِ نفي قيام الأفعال الاختيارية بذاته سبحانه.

فعلم مما تقدم أن الصواب ما عليه جمهور النحويين من أن السموات مفعول به، وكذا سائر المخلوقات كالأرض والإنسان ونحوهما، وأن هذا الإعراب المحدَث . وهو جعل السموات وغيرها مفعولًا مطلَقًا . مبنيٌّ على قول محدَث في اللغة والاعتقاد، وهو عدم الفرق بين الفعل والمفعول، وأن الفعل هو المفعول، فالسموات وغيرها من المخلوقات مفعولات بائنة عنه تعالى، والخلق والإيجاد والإنشاء والتكوين أفعالٌ قائمة به سبحانه وتعالى؛ وكلاهما (الفعلُ والمفعولُ): حادثٌ بمشيئتِهِ وقدرتِه.

..إذا تبين هذا فيقال: من التزم مذهب أهل السنة في الفرق بين الفعل والمفعول، وأن أفعال الله قائمة به، ومخلوقاته بائنة عنه، ورأى أن يعرب هذه المفعولات المخلوقات مفعولًا مطلَقًا، وإن لم تكن مصادر، أو مفعولًا ثانيًا، صار الخلاف معه لفظيًّا واصطلاحًا محضًا؛ وحينئذ فلا يظفر إلا بالشذوذ، ومخالفة القواعد."(الشيخ عبدالرحمن البراك)

ولو شاء الله ان يخلق السماوات والارض في لحظة لخلقها فهو على كل شيء قدير .وانما خلقها في ستة ايام لحكمة يعلمها هو سبحانه .

قال الإمام القرطبي – رحمه الله – في تفسيره " الجامع لأحكام القرآن " لآية الأعراف (٥٤) (١٤٠/٧/٤ (:وذكر هذه المدة – أي ستة أيام – ولو أراد خلقها في لحظة لفعل ؛ إذ هو القادر على أن يقول لها كوني فتكون ، ولكنه أراد:

–أن يعلم العباد الرفق والتثبت في الأمور.

–ولتظهر قدرته للملائكة شيئاً بعد شيء....

–وحكمة أخرى : خلقها في ستة أيام ؛ لأن لكل شيء عنده أجلا ، وبيّن بهذا ترك معاجلة العصاة بالعقاب ؛ لأن لكل شيء عنده أجلاً ...) ا.هـ.

وعن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله وسلم "إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ فِي الْأَمْرِ كُلِّهِ " رواه البخاري.

وقال ابن الجوزي في زاد المسير "أن التعجيل أبلغ في القدرة ، والتثبيت أبلغ في الحكمة ، فأراد إظهار حكمته في ذلك ، كما يظهر قدرته في قوله (كن فيكون).

والرابع : أنه علّم عباده التثبت ، فإذا تثبت مَنْ لا يَزِلُّ ، كان ذو الزلل أولى بالتثبت.

والخامس : أن ذلك الإمهال في خلق شيء بعد شيء ، أبعد من أن يظن أن ذلك وقع بالطبع أو بالاتفاق .) ا.هـ."

قوله تعالى {وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ} أي من إعياء ولا تعب ولا نصب وليس هو كالمخلوق ان زاول عملا يتعب منه بل ربما تعب من غير عمل فقد يتعب من الجلوس فيحتاج الى النوم لكن الله تعالى ليس كمثله شيء فلا يعجزه شيء يقول للشيء كن فيكون قَالَ تَعَالَى: {أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَى أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَى؟ بَلَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شيء قدير} وقال عزَّ وجلَّ: {لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ} وقال تَعَالَى: {أَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقاً أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا}؟

فقوله تعالى {وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ} وذلك لكمال علمه وقدرته فإن النفي لا كمال في الا ان تضمن اثبات ضده فالنفي المحض – الذي لا يتضمن إثباتاً – لم يوصف الله تعالى به .

فالخلق يحتاج امرين كما العلم وكمال القدرة والنقص في احدها يفسد الخلق ولذلك يقرن الله تعالى الخلق بهاتين الصفتين .كما قال تعالى{اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ} [الروم:٥٤].

وقد روى مسلم عن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ : " أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِيَدِي فَقَالَ : (خَلَقَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ التُّرْبَةَ يَوْمَ السَّبْتِ ، وَخَلَقَ فِيهَا الْجِبَالَ يَوْمَ الْأَحَدِ ، وَخَلَقَ الشَّجَرَ يَوْمَ الِاثْنَيْنِ ، وَخَلَقَ الْمَكْرُوهَ يَوْمَ الثُّلَاثَاءِ ، وَخَلَقَ النُّورَ يَوْمَ الْأَرْبِعَاءِ ، وَبَثَّ فِيهَا الدَّوَابَّ يَوْمَ الْخَمِيسِ ، وَخَلَقَ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَام بَعْدَ الْعَصْرِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فِي آخِرِ الْخَلْقِ ، فِي آخِرِ سَاعَةٍ مِنْ سَاعَاتِ الْجُمُعَةِ فِيمَا بَيْنَ الْعَصْرِ إِلَى اللَّيْلِ"

وقد حكم على الحديث بالشذوذ قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

"وكذلك روى مسلم : (خلق الله التربة يوم السبت) ، ونازعه فيه من هو أعلم منه ، كيحيى بن معين ، والبخاري ، وغيرهما ، فبينوا أن هذا غلط ، ليس هذا من كلام النبي صلى الله عليه وسلم ، والحجة مع هؤلاء ، فإنه قد ثبت بالكتاب والسنة والإجماع أن الله تعالى خلق السموات والأرض في ستة أيام ، وأن آخر ما خلقه هو آدم ، وكان خلقه يوم الجمعة ، وهذا الحديث المختلف فيه يقتضي أنه خلق ذلك في الأيام السبعة ، وقد رُوي إسناد أصح من هذا أن أول الخلق كان يوم الأحد " انتهى من " مجموع الفتاوى " (١/٢٥٦) .

وقوله عزَّ وجلَّ: {فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ} يَعْنِي الْمُكَذِّبِينَ اصْبِرْ عَلَيْهِمْ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا {وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ}،اختار ابن كثير المراد بالتسبيح الصلاة لان الصلاة تسمى سبحة كما روى البخاري عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ إِنْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيَدَعُ الْعَمَلَ وَهُوَ يُحِبُّ أَنْ يَعْمَلَ بِهِ خَشْيَةَ أَنْ يَعْمَلَ بِهِ النَّاسُ فَيُفْرَضَ عَلَيْهِمْ وَمَا سَبَّحَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سُبْحَةَ الضُّحَى قَطُّ وَإِنِّي لَأُسَبِّحُهَا."وهو من تسمية الصلاة ببعض اجزائها او لانها اشتملت على تسبيح الله وتنزيهه من اولها لاخرها.

فقال ابن كثير " وَكَانَتِ الصَّلَاةُ المفروضة قبل الإسراء ثنتان قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ فِي وَقْتِ الْفَجْرِ، وَقَبْلَ الْغُرُوبِ فِي وَقْتِ الْعَصْرِ، وَقِيَامُ اللَّيْلِ كَانَ وَاجِبًا عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَلَى أُمَّتِهِ حَوْلًا، ثُمَّ نُسِخَ فِي حَقِّ الْأُمَّةِ وُجُوبُهُ، ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ نَسَخَ اللَّهُ تعالى كُلَّهُ لَيْلَةَ الْإِسْرَاءِ بِخَمْسِ صَلَوَاتٍ، وَلَكِنْ مِنْهُنَّ صَلَاةُ (الصُّبْحِ وَالْعَصْرِ) فَهُمَا قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وقبل الغروب، وقد روى الإمام أحمد، عن جرير بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَنَظَرَ إِلَى الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ فَقَالَ: «أَمَا إِنَّكُمْ سَتُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّكُمْ فَتَرَوْنَهُ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا الْقَمَرَ لَا تُضَامُونَ فِيهِ، فَإِنِ استطعتم أن لا تُغْلَبُوا عَلَى صَلَاةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا فَافْعَلُوا»، ثُمَّ قَرَأَ: {وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الغروب} (أخرجه الإمام أحمد، ورواه البخاري ومسلم وبقية الجماعة).

وذهب ابن القيم في الوابل الصيب ان المراد بالتسبيح في الاية الاذكار فقال " قال تعالى : { وسبح بحمد ربك بالعشي والإبكار } فالإبكار أول النهار والعشي آخره وقال تعالى : { وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب } وهذا تفسير ما جاء في الأحاديث : من قال كذا وكذا حين يصبح وحين يمسي أن المراد به قبل طلوع الشمس وقبل غروبها وأن محل هذه الأذكار بعد الصبح وبعد العصر

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه و سلم قال : [من قال حين يصبح وحين يمسي : سبحان الله وبحمده مائة مرة لم يأت أحد يوم القيامة بأفضل مما جاء به إلا أحد قال مثل ما قال أو زاد عليه] ثم ذكر بقية اذكار الصباح والمساء."

وقوله تعالى: {وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ} حمله ابن كثير على الصلاة أَيْ فصلِّ لَهُ كَقَوْلِهِ: {وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ}، وحمله ابن جرير على العموم

كما جاء عن عُبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ مَنْ تَعَارَّ مِنْ اللَّيْلِ فَقَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ ثُمَّ قَالَ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي أَوْ دَعَا اسْتُجِيبَ لَهُ فَإِنْ تَوَضَّأَ وَصَلَّى قُبِلَتْ صَلَاتُهُ.رواه البخاري.

{وَأَدْبَارَ السجود}وفيها قراءة { إِدْبَارَ السجود} قال مُجَاهِدٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: هُوَ التَّسْبِيحُ بَعْدَ الصَّلَاةِ، وَيُؤَيِّدُ هَذَا مَا ثَبَتَ فِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: جَاءَ فُقَرَاءُ الْمُهَاجِرِينَ فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ ذَهَبَ أَهْلُ الدُّثُورِ بِالدَّرَجَاتِ الْعُلَى وَالنَّعِيمِ المقيم، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «وَمَا ذَاكَ؟» قَالُوا: يُصَلُّونَ كَمَا نُصَلِّي، وَيَصُومُونَ كَمَا نَصُومُ، وَيَتَصَدَّقُونَ وَلَا نَتَصَدَّقُ، وَيُعْتِقُونَ وَلَا نعتق، قال صلى الله عليه وسلم: «أَفَلَا أُعَلِّمُكُمْ شَيْئًا إِذَا فَعَلْتُمُوهُ سَبَقْتُمْ مَنْ بَعْدَكُمْ وَلَا يَكُونُ أَحَدٌ أَفْضَلَ مِنْكُمْ إِلَّا مَنْ فَعَلَ مِثْلَ مَا فَعَلْتُمْ؟ تُسَبِّحُونَ وَتُحَمِّدُونَ وَتُكَبِّرُونَ دُبُرَ كُلِّ صَلَاةٍ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ» قَالَ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ سَمِعَ إِخْوَانُنَا أَهْلُ الأموال بما فعلنا ففعلوا مثله، فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:«ذلك فَضْلُ الله يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ» (أخرجه الشيخان).

والقول الثاني أن المراد بقوله تعالى: {وَأَدْبَارَ السجود} هما الركعتان بعد المغرب، وبه يقول مجاهد وعكرمة والشعبي. قيل لان المغرب وتر النهار وهي اخر الصلاة النهارية

وقيل النافلة بعد الفرائض وروى الإمام أحمد، عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصَلِّي عَلَى أَثَرِ كُلِّ صَلَاةٍ مَكْتُوبَةٍ رَكْعَتَيْنِ إِلَّا الْفَجْرَ وَالْعَصْرَ، وقال عبد الرحمن: دبر كل صلاة" (أخرجه أحمد وأبو داود والنسائي). وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: بت لَيْلَةً عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ خَفِيفَتَيْنِ اللَّتَيْنِ قَبْلَ الْفَجْرِ، ثم خرج إلى الصلاة فقال: يا ابن عَبَّاسٍ: «رَكْعَتَيْنِ قَبْلَ صَلَاةِ الْفَجْرِ إِدْبَارَ النُّجُومِ، وركعتين بعد المغرب إدبار السجود» (أخرجه ابن أبي حاتم والترمذي).

يَقُولُ تَعَالَى: {وَاسْتَمِعْ يَوْمَ ينادي المنادي مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ} اي واستمع يا محمد صيحة القيامة والنشور يوم ينادي المنادي، قال مقاتل : يعني إسرافيل(وقيل جبريل) ينادي بالحشر يا أيتها العظام البالية والأوصال المتقطعة واللحوم المتمزقة والشعور المتفرقة، إن الله يأمركن أن تجتمعن لفصل القضاء.

. فيجتمع الإنسان من الأرض، يجتمع بدنه كما كان إلا أنه ليس فيه روح، حتى إنه لو مر عليه أحد يعرفه في الدنيا لقال: هذا فلان. ما تغير منه شيء.

ثم يؤمر إسرافيل فينفخ في الصور فتتطاير الأرواح؛ لأن الأرواح مجموعة في الصور، تتطاير كل روح إلى جسدها، ثم يحيون ويؤمرون بالمسير إلى المحشر.

ولم يأتي اين هذا المكان القريب لكن جاء عن كعب الاحبار ان ملكا ينادي على صخرة بيت المقدس.وقيل من السماء ووصف القرب لقرب الاستجابة فكانه بجوارك .

فالنداء ثابت بالنص القطعي واما صيغته ومكانه فالله اعلم به.

قال الزمخشري {استمع} " يعني: واستمع لما أخبرك به من حال يوم القيامة. وفي ذلك تهويل وتعظيم لشأن المخبر به، كما روي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لمعاذ بن جبل يا معاذ اسمع ما أقول لك ثم حدثه بعد ذلك . "

{يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ} يَعْنِي النَّفْخَةَ فِي الصُّورِ الَّتِي تَأْتِي بِالْحَقِّ الَّذِي كَانَ أَكْثَرُهُمْ فِيهِ يَمْتَرُونَ، وَهِيَ النَّفْخَة الثَّانِيَة مِنْ إسْرَافِيل وَيُحْتَمَل أَنْ تَكُون قَبْل نِدَائِهِ وَبَعْده {ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ} أَيْ مِنَ الْأَجْدَاثِ {إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ}، أَيْ هُوَ الذي يبدأ الخلق ثم يعيده، وَإِلَيْهِ مَصِيرُ الْخَلَائِقِ كُلِّهِمْ، فَيُجَازِي كُلًّا بِعَمَلِهِ، إِنْ خَيْرًا فَخَيْرٌ، وَإِنْ شَرًّا فَشَرٌّ،

وَقَوْلُهُ تعالى: {يَوْمَ تَشَقَّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعا} "يَوْم" بَدَل مِنْ يَوْم التي قبلها والجمل بينها اعتراضية "تَشَقَّقَ" بِتَخْفِيفِ الشِّين وَتَشْدِيدهَا وَذَلِكَ أَنَّ الله عزَّ وجلَّ ينزل مطراً من السماء ينبت به أجساد الخلائق كلها فِي قُبُورِهَا كَمَا يَنْبُتُ الْحَبُّ فِي الثَّرَى بالماء،(فلا يمنع مانع من وصول هذا المطر الى الاجساد اينما كانت) فإذا تكاملت الأجساد أمر الله تعالى إسرافيل فينفخ في الصور، فإذا نفخ خَرَجَتِ الْأَرْوَاحُ تَتَوَهَّجُ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، فَيَقُولُ اللَّهُ عزَّ وجلَّ: وَعِزَّتِي وَجَلَالِي لَتَرْجِعَنَّ كُلُّ رُوحٍ إِلَى الْجَسَدِ الَّذِي كَانَتْ تَعْمُرُهُ، فَتَرْجِعُ كُلُّ رُوحٍ إِلَى جَسَدِهَا، فَتَدِبُّ فِيهِ كَمَا يَدِبُّ السُّمُّ فِي اللَّدِيغِ، وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ عَنْهُمْ فَيَقُومُونَ إِلَى مَوْقِفِ الْحِسَابِ، سِرَاعًا مُبَادِرِينَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ عزَّ وجلَّ، {مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ}، مهطعين مدوا اعناقهم .

وفَصْل بَيْن الْمَوْصُوف وَالصِّفَة بِمُتَعَلِّقِهَا لِلِاخْتِصَاصِ فقدم علينا على متعلقها "يسير" للاختصاص أي يسير علينا لا على غيرنا.والفصل بين الصفة والموصوف لا يضر .

وَقَالَ تَعَالَى: {يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إلا قليلاً}. وفي الصحيحين عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم" لَا تُخَيِّرُونِي مِنْ بَيْنِ الْأَنْبِيَاءِ فَإِنَّ النَّاسَ يَصْعَقُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يُفِيقُ فَإِذَا أَنَا بِمُوسَى آخِذٌ بِقَائِمَةٍ مِنْ قَوَائِمِ الْعَرْشِ فَلَا أَدْرِي أَفَاقَ قَبْلِي أَمْ جُزِيَ بِصَعْقَةِ الطُّورِ"

وقوله عزَّ وجلَّ: {ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ} أَيْ تِلْكَ إِعَادَةٌ سهلة علينا يسيرة لدينا، كما قال جلَّ جلاله: {وَمَآ أَمْرُنَآ إِلاَّ وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بالبصر}، وقال سبحانه وتعالى: {مَّا خَلْقُكُمْ وَلاَ بَعْثُكُمْ إِلاَّ كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ إِنَّ الله سَمِيعٌ بصير}، وقوله جلَّ وعلا: {نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ} أي علمنا محيط بما يقول لك المشركون، فلا يهولنك ذلك؛ كقوله: {وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ}،

وقوله تبارك وتعالى: {وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ} أَيْ وَلَسْتَ بِالَّذِي تجبر هؤلاء على الهدى، وليس ذلك مما كلفت به، وقال مجاهد والضحاك: أَيْ لَا تَتَجَبَّرُ عَلَيْهِمْ، وَالْقَوْلُ الْأَوَّلُ أَوْلَى، قَالَ الْفَرَّاءُ: سَمِعْتُ الْعَرَبَ تَقُولُ: جَبَرَ فُلَانٌ فُلَانًا عَلَى كَذَا بمعنى أجبره، ثم قال عزَّ وجلَّ: {فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ} أَيْ بَلِّغْ أَنْتَ رِسَالَةَ رَبِّكَ، فَإِنَّمَا يَتَذَكَّرُ مَنْ يَخَافُ الله ووعيده كَقَوْلِهِ تَعَالَى: {فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ}، وقوله جلَّ جلاله: {فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ * لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُسَيْطِرٍ}. {لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يشاء}، {إِنَّكَ لاَ تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يشاء} ولهذا قال ههنا: {وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ، فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ} كَانَ قَتَادَةُ يَقُولُ: اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِمَّنْ يَخَافُ وَعِيدَكَ، وَيَرْجُو مَوْعُودَكَ، يَا بَارُّ يا رحيم.

قال ابن القيم في مدارج السالكين " ومدار السعادة وقطب رحاها على التصديق بالوعيد فإذا تعطل من قلبه التصديق بالوعيد خرب خرابا لا يرجى معه فلاح ألبتة والله تعالى أخبر أنه إنما تنفع الآيات والنذر لمن صدق بالوعيد وخاف عذاب الآخرة فهؤلاء هم المقصودون بالإنذار والمنتفعون بالآيات دون من عداهم قال الله تعالى إن في ذلك لآية لمن خاف عذاب الآخرة وقال إنما أنت منذر من يخشاها وقال فذكر بالقرآن من يخاف وعيد وأخبر تعالى أن أهل النجاة في الدنيا والآخرة هم المصدقون بالوعيد الخائفون منه فقال تعالى ولنسكننكم الأرض من بعدهم ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد "

تم بحمد الله تعالى

جمع واعداد

محمد مريس الحجاجي

المصادر

١–تفسير الطبري.

٢–تفسير ابن كثير.

٣–تفسير اضواء البيان للشنقيطي.

٤–تفسير التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور .

٥– مجموع الفتاوى لابن تيمية.

٦–مدارج السالكين لابن القيم.

٧–تفسير الكشاف للزمخشري.

٨–تفسير البغوي.

٩– الفوائد لابن القيم.